



جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية
قسم اللغة العربية

التوجيه اللغوي للقراءات التي انفرد بها القراء الثلاثة المكملين
للعشرة

Linguistic Direction for the Qur'anic Readings (Qira'ats) of the Three Readers Who Contribute to the Ten Readings

إعداد الطالب:
محمد أحمد ناصر العودات

إشراف الأستاذ الدكتور
ناصر إبراهيم النعيمي

قدّمت هذه الرسالة؛ استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية – تخصص اللغويات – في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

تاريخ المناقشة: عمان ١٨ / ٧ / ٢٠١٣ .



**The world islamic scienc & education university (wise)
Faculty of graduate studies
Dept of Department of Arabic Language**

**Linguistic Direction for the Qur'anic Readings
(Qira'ats) of the
Three Readers Who Contribute to the Ten Readings**

Prepared by

Mohammad ahmad naser aloudat

Supervised by

Dr. Naser Ibraheem Al-No'eami

**" thesis submitted in partial fulfillment of the
Requirements for the degree of master of arts in Arabic Language /
Linguistics. At The world islamic scienc and
education university**

Discussed at Amman July, 18, 2013

كعب الرسالة:

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

التوجيه اللغوي للقراءات التي انفرد بها القراء الثلاثة المكملين للعشرة

اسم الطالب:
محمد أحمد ناصر العودات

تاريخ المناقشة: عمان ١٨ / ٧ / ٢٠١٣ .



جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية
قسم اللغة العربية

التوجيه اللغوي للقراءات التي انفرد بها القراء الثلاثة المكملين للعشرة

إعداد الطالب:
محمد أحمد ناصر العودات

إشراف أ.د.
ناصر إبراهيم النعيمي

قدّمت هذه الرسالة؛ استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية – اللغويات – في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

نوقشت الرسالة في عمان بتاريخ ١٨ / ٧ / ٢٠١٣ .

التفويض

أنا الموقع أدناه، أفوض جامعة العلوم الإسلامية بنشر رسالتي أو توزيعها في المكتبات العامة
والمؤسسات والهيئات والأشخاص المعنيين بالأبحاث والدراسات عند طلبها .

الاسم : محمد أحمد ناصر العودات

التوقيع:

التاريخ:

الإهداء

إلى من بعثه الله رحمة للعالمين ، فأخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد ، رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ومن ثمّ إلى من زكاهم الله من فوق سبع سماوات قائلاً : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ " محمد ٢٩ . رضوان الله عليهم .

إلى من كان سنداً لي في صغري وكبري ، في ليلي ونهاري ، أبي الغالي المعطاء السامي .

إلى نبع الحنان والدفء ، إلى الرقة والاطمئنان ، إلى الشمعة التي أضاعت ليلي؛ لأكمل نهاري، أمي الحبيبة .

إلى إخوتي، وزوجتي، وأبنائي، وأصدقائي ، ومن له حقّ علي ، الذين كانوا سنداً لي .

إلى القلب الكبير ، والبحر السخي ، الذي لم يألُ جهداً في إرشادي وتبصيري نحو الصواب والطريق الصحيح في مسيرة تعلمي ، الأستاذ الدكتور ناصر النعيمي .

إلى الرجل المعطاء الدكتور القدير محمود عبيدات الذي لم ييخل عليّ في إرشادي ونصحي وتوجيهي .

الشكر والتقدير

أقدم بجزيل الشكر للدكتور ناصر النعيمي الذي كان سندا لي في رسالتي، وللدكتور محمود عبيدات والدكتور حسن الملح اللذان أزالا لي الغموض في بعض الجوانب في رسالتي وأطلعاني على نقاط الضعف فيها؛ لأعالجها.

الصفحة	المحتويات
ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	المحتويات
ط	الأطروحة والملخص باللغة العربية
ي	الأطروحة والملخص باللغة الإنجليزية
١	المقدمة
١٠	التمهيد
١١	المحور الأول: مصطلح التوجيه اللغوي
١٣	المحور الثاني: التعريف بالقراء الثلاثة المكملين للعشرة
١٨	الفصل الأول : المستوى الصوتي.
١٩	المبحث الأول : الهمز.
٢٣	المطلب الأول : تليين الهمزة.
٢٥	المطلب الثاني : إبدال الهمزة.
٢٧	المطلب الثالث : حذف الهمزة.
٢٩	المطلب الرابع : نقل حركة الهمزة
٣٢	المطلب الخامس : الهمزة المقحمة
٣٥	المبحث الثاني : التنوع الكمي للحركات.
٣٦	المطلب الأول : مطل الحركة.

٤٣	المطلب الثاني : اجتزاء الحركات الطويلة { تقصير الحركة الطويلة }.
٤٨	المطلب الثالث : حذف الحركة.
٥٣	المطلب الرابع : اختلاس الحركة.
٥٦	المطلب الخامس : الحركة الطويلة الممطولة.
٥٨	المبحث الثالث : التوافق الحركي { الإتياع }.
٦٤	المبحث الرابع : الهاء.
٦٥	المطلب الأول : الوقف بهاء السكت.
٧١	المطلب الثاني : حذف هاء السكت.
٧٣	المطلب الثالث : حركة هاء الضمير.
٧٧	المبحث الخامس : التضعيف والتخفيف.
٧٨	المطلب الأول : التشديد الصوتي
٨١	المطلب الثاني : التخفيف الصوتي.
٨٤	المبحث السادس : الإدغام { المماثلة }.
٨٥	المطلب الأول : المماثلة الرجعية { إدغام التاء في السين }.
٨٧	المطلب الثاني : إدغام التاء في أول الفعل المضارع.
٨٩	المبحث السابع : مسائل صوتية متفرقة.
٩٠	المطلب الأول : الإشمام.
٩٢	المطلب الثاني : الوقف على النون الخفيفة ألفا.
٩٦	المطلب الثالث : إخفاء النون عند الغين والحاء.
٩٨	المطلب الرابع : السكت.
١٠٠	الفصل الثاني : المستوى النحوي.

- ١٠٢ المبحث الأول : المرفوعات من الأسماء.
- ١٠٣ المطلب الأول : المبتدأ والخبر { من النصب والجر إلى الرفع } .
- ١٠٦ المطلب الثاني : فاعل كان التامة {من النصب إلى الرفع }.
- ١٠٧ المطلب الثالث: التابع المرفوع {من النصب والجر إلى الرفع، ومن الحرف إلى الاسم}
- ١٠٨ المبحث الثاني : المنصوبات من الأسماء
- ١١١ المطلب الأول : المنادى. { من النصب إلى البناء }
- ١١٢ المطلب الثاني : الحال { من الجملة إلى المفرد }
- ١١٥ المطلب الثالث : التابع المنصوب { من الرفع إلى النصب }
- ١١٦ المطلب الرابع : حذف المضاف.
- ١١٧ المبحث الثالث : المجرورات من الأسماء { المخفوضات }.
- ١١٩ المبحث الرابع : الأدوات.
- ١٢٠ المطلب الأول : إنّ وأخواتها{ بين كسر الهمزة وفتحها، وبين تشديد النون وتخفيفها}
- ١٢٧ المطلب الثاني : أدوات الجزم { لام الأمر وجواب الطلب }
- ١٢٨ المطلب الثالث : إنا { من الاستثناء إلى الجر }
- ١٣٠ المطلب الرابع : معاني الواو { بين الاستئناف والعطف }
- ١٣١ المبحث الخامس : الانتقال بين الأفعال وبين الاسم والفعل.
- ١٣٢ المطلب الأول : التنقل بين الأفعال.
- ١٣٦ المطلب الثاني : التنقل بين الاسم والفعل.
- ١٣٨ الفصل الثالث : المستوى الصرفي.
- ١٤٠ المبحث الأول : القلب المكاني.
- ١٤٣ المبحث الثاني: إسناد الأفعال إلى الضمائر.

١٤٤	المطلب الأول : إسناد الفعل لضمير المتكلم { نون العظمة }.
١٤٥	المطلب الثاني : إسناد الفعل لضمائر المخاطب.
١٥١	المطلب الثالث : إسناد الفعل لضمائر الغيبة.
١٥٣	المبحث الثالث : اللازم والمتعدي.
١٥٦	المبحث الرابع : البناء للفاعل والمفعول.
١٥٧	المطلب الأول : البناء للفاعل.
١٦٠	المطلب الثاني : البناء للمفعول.
١٦٩	المبحث الخامس : نون التوكيد الخفيفة.
١٧١	المبحث السادس : تبادل صيغ الأفعال.
١٧٧	المبحث السابع : المصادر.
١٨١	المبحث الثامن : المشتقات.
١٨٤	المبحث التاسع : التذكير والتأنيث.
١٨٦	المبحث العاشر : الجموع.
١٨٧	المطلب الأول : جمع القلة.
١٨٨	المطلب الثاني : جمع الكثرة.
١٨٩	المطلب الثالث : جمع الجمع.
١٩٢	الخاتمة.
١٩٤	فهرست المصادر والمراجع.

المخلص

التوجيه اللغوي للقراءات التي انفرد بها القراء الثلاثة المكملين للعشرة

إعداد الطالب: محمد أحمد ناصر العودات

إشراف الأستاذ الدكتور: ناصر إبراهيم النعيمي

نوقشت في عمان بتاريخ ١٨ / ٧ / ٢٠١٣ .

الحمد لله الذي برأ النسيم وأفاض النعيم، الحمد لله حمد الشاكرين حمدا كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على النبي العدنان، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن سار على هديه واستنّ بسنته من الأنام.

وبعد، فما يسعنا في هذا المقام إلا أن نلخص أبرز ما جاء في هذه الرسالة، فإنّ الناظر فيها يجدها قد جاءت في تمهيد وثلاثة فصول..

ففي التمهيد بينت الرسالة معنى مصطلح التوجيه اللغوي، وعرفت بالقراء الثلاثة ورواتهم. وعالجت في الفصل الأول المستوى الصوتي، وجاء في مباحث وهي: الهمز، والتنوع الكمي للحركات، والتوافق الحركي { الإتياع }، والهاء، والتضعيف والتخفيف، والإدغام { المماثلة }. ومسائل صوتية متفرقة.

وجاء الفصل الثاني في المستوى النحوي ، وعالجت الرسالة انفرادات أبي جعفر ويعقوب، فكانت في مباحث هي: المرفوعات من الأسماء، والمنصوبات من الأسماء، والمجرورات من الأسماء {المخفوضات}، والأدوات، والانتقال بين الأفعال وبين الفعل والاسم.

وجاء الفصل الثالث في المستوى الصرفي، وتحدثت الرسالة فيه عن انفرادات أبي جعفر ويعقوب، وكانت في مباحث هي: القلب المكاني، وإسناد الأفعال للضمائر، واللازم والمتعدي، والبناء للفاعل والمفعول، ونون التوكيد الخفيفة، وتبادل صيغ الأفعال، والمصادر، والمشتقات، والتذكير والتأنيث، والجموع، ومن ثم جاءت الخاتمة، وكان فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة وكان من أهمها:

أولاً: لم يتفق أبو جعفر ويعقوب منفردين عن بقية القراء سوى في موضعين أولهما: كسر الهمزة في إن في قوله تعالى: { أَنْ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ }^١ على تقدير إن جواب لو لقلت: إن القوة لله جميعاً. والثاني: { إِنْ يُرْدَنَّ الرَّحْمَنَ }^٢ فقرأ أبو جعفر بإثبات الياء في يردن مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف، كوقف يعقوب عليها.

ثانياً: إن الناظر في بيئة أبي جعفر ويعقوب، وفي قراءتهما يجدها توافق لغة قومهما أحياناً، وتخالف أحياناً، وما ذاك إلا لأن القراءة سنة متبعة لا تأتي على لهجة قومه، وإنما يتبع فيها الرواية.

ثالثاً: وُجِدَتْ انفرادات لأبي جعفر ويعقوب، جاءت ظاهرة عامّة في جميع المواطن في القرآن الكريم، منها: تسهيل الهمزة { من حذف وإبدال } عند أبي جعفر، ومنها: كلمة الرياح في قراءة أبي جعفر بالجمع في جميع المواطن ورودها في القرآن، وكذا الحال عند يعقوب فقد قرأ تُرْجَعُونَ وبابه بالفعل اللازم ففتح حرف المضارعة وكسر الجيم من رجوع الآخرة، وأثبت جميع رؤوس الآي، وهي ست وثمانون ياء.

^١ - البقرة ١٦٥.

^٢ - يس ٢٣.

Abstract

Linguistic Direction for the Qur'anic Readings (Qira'ats) of the Three Readers Who Contribute to the Ten Readings

Prepared by

Mohammad ahmad naser aloudat

Supervised by

Dr. Naser Ibraheem Saleh Al-No'eami

Discussed at amman

July, 18, 2013

All humans must express their deep thanks for the Almighty who creates breeze and overwhelms us with his grace. Many thanks should be expressed as Allah likes. Peace is being based upon the prophet, Mohammed, his respected relatives, companions and all who follow his Sunnah (religious traditions).

Afterwards, this thesis is divided into three chapters and a preview. In the preview, the researcher presents the meaning of linguistic direction and gives some related information about the three readers and their transmitters (narrators).

In the first chapter, the researcher deals with the phonetic / phonological level discussing the following: the glottal stop *hamza*, quantitative variation of diacritics, having the same case (diacritic), *al-haa'*, geminating and non-geminating, assimilation, and other sound issues.

In the second chapter, the researcher tackles the syntactic level discussing what marks Abu Jaa'far and Ya'coob in terms of the following:

Nominative nouns, accusative nouns, dative nouns, articles (particles) and shifts (switches) among verbs and between verbs and nouns.

In the third chapter, the researcher discusses what marks Abu-Jaa'far and Ya'coob on the morphological level. The study considers the following topics: metathesis, attaching verbs to pronouns, transitive and intransitive verbs, forming present and past participles, *noon* of emphasis (ingeminated), shifting of verb forms, gerunds, derivatives, masculinity and femininity and plural nouns.

The study concludes the following results:

Firstly, Abu Jaa'far does not agree with Ya'coob except for two positions: the first position is the *kasra* of the glottal stop *hamza* of 'inna' in this ayah: "

The second "إن يردن الرحمن" "أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب"

position is in the ayah:

Abu Jaa'far reads the *yaa'* of يردن with a *fatha* if continued and with a *sukun* if stopped as Ya'coob does.

Secondly, If you consider the environment (context) of Abu Jaa'far and Ya'coob and their readings, you will find that these readings may agree or disagree with their dialects. This proves that Qur'anic readings are based on mere transmission.

Thirdly, there are some positions marking both of Abu Jaa'far and Ya'coob in all contexts in the Holy Quran (HQ) such as the *tasheel* of the glottal stop *hamza* (omission and substitution) as Abu Jaa'far does. Another example is the word *أرجمعون* (*alreyah*) in the plural form in the HQ. with a *fatha* on the first letter and a *kasra* under the letter *jeem* (as an intransitive verb). Ya'coob reads all the very beginnings of ayats (86 *yaa's*).

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد.

فإنّ اللغة العربية قد حظيت بعناية حثيثة من أجل المحافظة عليها، وإبعادها عن شوائب اللحن، وارتببت هذه العناية بيزوغ شمس الإسلام على البلاد العربية، مبددة تلك الظلمة الحالكة التي كانت على وجوه العرب، ومنذ ذلك الحين كان القرآن الكريم سببا في نشأة كثير من العلوم، منها علوم اللغة العربية، بجميع مستوياتها نحوها وصرفها وصوتها ودلالاتها.

لعل المتأمل في القرآن الكريم وقراءاته يجد القرآن نبعاً لا ينفد، تُغذى منه علوم اللغة نحوها وصرفها وصوتها، ويعلم الجميع أن أشرف العلوم وأجلها علوم القرآن الكريم، فلذلك أُحِببت أن أدرس هذا العلم، فكانت منة الله عليّ أن جعلني من خدام هذا الكتاب في الجانب اللغوي، وهو لا يقلّ أهمية عن بقية الجوانب، لأنّ القرآن لا يفهم بقراءته دون فهم اللغة، فمن هذه البوابة انطلقت في رسالتي التي فتح الله عليّ بها، وذلك بعد أن وجدت كتابا اسمه الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة لعثمان بن عمر الناشري ت ٨٤٨ ، وهو كتاب يجمع ما انفرد به أبو جعفر أو يعقوب أو خلف عن بقية القراء، فأحِببت أن أوجّه هذه الانفرادات، فطرحت هذا العنوان على أستاذي الفاضل الدكتور ناصر النعيمي فأشار إليّ بالنظر في مادة هذه الانفرادات، وهل تصلح أن تكون مشروع رسالة، وإذ بها مادة كثيرة تنبض بالمستويات اللغوية صوتها ونحوها وصرفها، فسميتها: التوجيه اللغوي للقراءات التي انفرد به القراء الثلاثة المكملين للعشرة.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في أمور : أولها: استخراج الظواهر اللغوية في انفرادات القراء الثلاثة.

ثانيها: الدفاع عن هذه القراءات، وبيان أنّ القراءة سنة متبعة بسند متواتر إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — وليست اجتهادا من أصحابها.

ثالثها: أن من انفرد به أحد القراء الثلاثة عن العشرة، يحوي مادّة غزيرة، تمثل مستويات صوتية ونحوية وصرفية لقبائل عربية.

رابعها: كثرة الأوجه البلاغية التي نبضت بها هذه الانفرادات، ومن المعروف لدى الدارسين أن اختلاف القراءات في الغالب لا يكون إلا بإضافة معنى جديد.

وقد اتبعت في دراستي المنهج الوصفي التحليلي، فقامت بتتبع انفراد القراء الثلاثة في كتب القراءات، من ذلك: المبسوط لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، والكامل لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي المغربي، كتاب النشر لابن الجزري، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات لشهاب الدين أحمد ابن محمد بن عبد الغني الدمياطي، ومعجم القراءات القرآنية لأحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، وكتب التفاسير مثل: والكشاف، والمحزر الوجيز، والبحر المحيط، والدرّ المصون، واللباب، واستأنست بالكتب الماضية، وغيرها من كتب اللغة على رأسها الكتاب لسيبويه، ومعاني القرآن للفراء، والمقتضب للمبرد، والمحتسب والخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني، والمفصل في صناعة الإعراب للزمخشري، فكانت الكتب الماضية وغيرها من كتب اللغة الحديثة سندا لي في هذه الدراسة.

وبعد التتبع لانفراد أيّ من القراء الثلاثة، وجدت كثرة التفرد عند قرائنا أبي جعفر ويعقوب، ومع ذلك لم يتفقا سوى في موضعين، الأول: كسر همزة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن

يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ

الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾^١ فأبو جعفر ويعقوب بكسر الهمزة في أن

القوة لله، على تقدير إن جواب لو لقلت: إن القوة لله جميعا. والثاني: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ ﴿ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا

^١ - البقرة ١٦٥.

يُنْقَدُونَ^٢، فقرأ أبو جعفر بإثبات الياء في يردن مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف، كوقف يعقوب عليها، والباقون بحذفها فيهما. ولم ينفرد خلف عن القراء السبعة في أيّ موضع في القرآن، وإنما ذكرت خلفاً، لأنه من الثلاثة المكملين للعشرة.

وتتبع آراء علماء اللغة والقراءات في انفرادات القراء الثلاثة، ملاحقاً كلّ ظاهرة على حدة، ناسباً إيّاها للقبائل الناطقة بها، وموجهاً للقراءات التي احتوت ظواهر نحوية أو صرفية، ومبيناً ما تحمله من وجوه لغوية، وبعد معالجة القضايا اللغوية في نظر المتقدمين، قمت بمعالجتها من نظر علم اللغة الحديث، بالأخص في الجانب الصوتي.

وقد اقتضت هذه الدراسة أن يكون البحث في تمهيد وثلاثة فصول في الصوت والنحو والصرف، فقدمت الصوت لأنه يمثل اللهجات والكلام العربي فقد وجد قبل وجود الكتابة والعلوم العربية، وجاء النحو بعد ذلك؛ لأنّ ظهوره سبق علم الصرف، وجاء الصرف أخيراً. وكان تقسيم الرسالة على النحو الآتي:

التمهيد: وجاء في محورين:

المحور الأول: المحور الأول: مصطلح التوجيه اللغوي { التخريج، الاحتجاج، التعليل}.

المحور الثاني: التعريف بالقراء الثلاثة المكملين للعشرة، وهم أبو جعفر ورواته وهما: ابن وردان، وابن جمّاز، ويعقوب ورواته وهما: رويس، وروح، وخلف ورواته وهما: إسحاق، وإدريس.

الفصل الأول: المستوى الصوتي: وفيه مباحث وهي:

المبحث الأول: قضايا الهمزة، وينقسم هذا المبحث إلى خمسة مطالب، وهي:

^٢ - يس ٢٣.

المطلب الأول: تليين الهمزة { همزة بين بين، أو الهمزة المسهلة }، ولا تظهر حقيقتها إلا بالمشافهة، وذلك بتسجيلها بالآلات الصوتية الحديثة من أفواه القراء الكبار.

المطلب الثاني: إبدال الهمزة، وما ذاك إلا حذفها، والتعويض مكانها بحركة قصيرة مجانسة لما قبلها.

المطلب الثالث: حذف الهمزة، ويكون بسقوط الهمزة مع حركة ما قبلها وبقاء حركتها.

المطلب الرابع: نقل الهمزة، وحقيقة النقل هو أنّ الهمزة حذفت، ومن ثمّ أعيد ترتيب المقاطع.

المطلب الخامس: إضافة الهمزة، وتكون إضافتها من خلال القياس الخاطيء.

المبحث الثاني: التنوع الكمي للحركات: وفيه خمسة مطالب وهي:

المطلب الأول: مطل الحركة القصيرة، وهو تطويلها لتصبح الضمة واوا، والكسرة ياء، والفتحة ألفا.

المطلب الثاني: اجتزاء الحركة الطويلة، وهو عكس المطل، فتصبح الواو ضمة، والياء كسرة، والألف فتحة.

المطلب الثالث: حذف الحركة، وحذف الحركة للتخفيف، ولا سيما إذا توالى ثلاث حركات، وحذف أبو جعفر العين في كلمة عشر في العدد المركب في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وهي لغة عقيل وكلاب.

المطلب الرابع: اختلاس الحركة: ويكون بالإسراع بالحركة حال النطق بها، فيختطفها اختطافاً، فلا يحقق النطق بها كاملاً، وعكسه الإشباع، وانفرد رويس عن يعقوب بذلك في أربعة مواضع.

المطلب الخامس: الحركة الطويلة الممطولة، وهذا ما يسميه علماء التجويد بالمد.

المبحث الثالث: التوافق الحركي { الإنباع }، ويسمى عند المحدثين بالمماثلة، وهو كل تأثير يحدث بين صوتين متجاورين، ومقصده إحداث الانسجام بين الصوتين.

المبحث الرابع: الهاء، وفيها ثلاثة مطالب، وهي:

المطلب الأول: الوقف بهاء السكت، وهي هاء مختصة بحال الوقف، تكون ساكنة، وتلحق المبني، لبيان حركته.

المطلب الثاني: حذف هاء السكت: تحذف هاء السكت حال الوصل، ويجوز إثباتها، وبذلك قرأ العشرة خلا يعقوب، فأثبتوها حال الوصل.

المطلب الثالث: حركة هاء الضمير: خصت الهاء بأقوى الحركات وهي الكسرة والضمّة، لأنّ الضمير ضعيف.

المبحث الخامس: التضعيف والتخفيف، وجاء في مطلبين هما:

المطلب الأول: التشديد الصوتي، وهذا ما عرف عن أهل البادية فهم أهل تشديد وتفخيم، لخشونة عيشتهم، بعكس أهل المدينة.

المطلب الثاني: التخفيف الصوتي: وهذا ما عرف عن أهل المدن، لطبيعة حياتهم ورقتها وسهولتها، فلذلك كانوا يميلون إلى السهولة.

المبحث السادس: الإدغام { المماثلة } وجاء الحديث في مطلبين وهما:

المطلب الأول: المماثلة الرجعية { إدغام التاء في السين } ويتأثر الصوت الأول بالثاني، والعلة في ذلك التخفيف وطلب الانسجام.

المطلب الثاني: إدغام التائين في أول الفعل المضارع، ويسمى عند علماء التجويد بالإدغام الكبير، وسببه طلب السهولة والتيسير في الكلام.

المبحث السابع: مسائل صوتية متفرقة، وفيها أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: الإشمام: وهو ضم الشفتين بعيد النطق بالحرف.

المطلب الثاني: الوقف على النون الخفيفة ألفا.

المطلب الثالث: إخفاء النون عند الغين والحاء، وهي حروف قربت من حروف اللسان، فلذلك أخفيت، وقربت من حروف الحلق، فلذلك أظهرت.

المطلب الرابع: السكت، وهو: قطع الصوت زمنا دون زمن الوقف عادة من غير تنفس.

الفصل الثاني: المستوى النحوي، وفيه خمسة مباحث وهي:

المبحث الأول: المرفوعات من الأسماء، وفيه ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: المبتدأ والخبر { من النصب والجر إلى الرفع } .

المطلب الثاني: : فاعل كان التامة، وانفرد أبو جعفر في موضع واحد {من النصب إلى الرفع }.

المطلب الثالث: التابع المرفوع، {من النصب والجر إلى الرفع، ومن الحرف إلى الاسم} وانفرد يعقوب بتابعين هما: الصفة والعطف.

المبحث الثاني: المنصوبات من الأسماء، وجاء هذا المبحث في أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: المنادى { من النصب إلى البناء } ، واختص في المضاف لياء المتكلم، وبه انفرد أبو جعفر.

المطلب الثاني: الحال { من الجملة إلى المفرد } ، وبه انفرد يعقوب في موضع واحد.

المطلب الثالث: التابع المنصوب { من الرفع إلى النصب }، وبه انفرد يعقوب فقرأ بالبدل في موضع واحد.

المطلب الرابع: حذف المضاف: وبه انفرد أبو جعفر في موضع واحد.

المبحث الثالث: المجرورات من الأسماء {المخفوضات}، لم ينفرد أحد من قرائنا عن البقية في المجرورات إلا بالتابع للمخفوض في ثلاثة مواضع، موضعان في الصفة المخفوضة، وموضع في العطف على المخفوض.

المبحث الرابع: الأدوات، وجاءت في أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: إن وأخواتها بين كسر الهمزة وفتحها، وبين تشديد النون وتخفيفها، انفرد أبو

جعفر ويعقوب بكسر همزة أن قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿١﴾ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخْضُ مِنْ**

دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ

أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٣﴾ فأبو جعفر ويعقوب بكسر الهمزة في **أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ**،

على تقدير إن جواب لو لقلت: إن القوة لله

المطلب الثاني: أدوات الجزم {لام الأمر وجواب الطلب}، وانفرد أبو جعفر في موطن واحد عن

بقية القراء في كل من لام الأمر وجواب الطلب.

المطلب الثالث: إنا {من الاستثناء إلى الجر} وانفرد يعقوب فقرأ بإلى بدل إنا في موضع واحد.

المطلب الرابع: معاني الواو، انفرد يعقوب عن البقية بواوين هما: واو الاستئناف، وواو العطف.

المبحث الخامس: الانتقال بين الأفعال وبين الفعل والاسم، وجاء في مطلبين هما:

المطلب الأول: التنقل بين الأفعال، وكان الانتقال من الفعل الماضي للمضارع في موطن واحد،

ومن فعل الأمر للماضي في موطنين.

^٢ - البقرة ١٦٥.

المطلب الثاني: الانتقال بين الفعل والاسم، وانفرد يعقوب في موطنين، فمرة انتقل من الفعل للاسم، ومرة انتقل من الاسم للفعل.

الفصل الثالث: المستوى الصرفي وجاء هذا الفصل في عشرة مباحث وهي:

المبحث الأول: القلب المكاني

المبحث الثاني: إسناد الفعل للضمائر، وفيه ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: إسناد الفعل لضمير المتكلم {نون العظمة}.

المطلب الثاني: إسناد الفعل لضمائر المخاطب.

المطلب الثالث: إسناد الفعل لضمائر الغيبة.

المبحث الثالث: اللازم والمتعدّي، وانفرد يعقوب باللزوم في فعلين هما ترجعون حيثما وقع، ولا تقدّموا بفتح التاء والقاف.

المبحث الرابع: البناء للفاعل والمفعول، وجاء هذا المبحث في مطلبين، هما:

المطلب الأول: البناء للفاعل، كثر ذلك عند يعقوب، فقرأ ترجعون ويرجعون وبابه بالبناء للفاعل.

المطلب الثاني: البناء للمفعول، وقد ورد ذلك عند يعقوب وأبي جعفر وانفرد كل منهما عن الآخر وعن بقية القراء في عدة مواضع.

المبحث الخامس: نون التوكيد الخفيفة، وانفرد يعقوب بهذه الظاهرة في خمسة مواضع، ولعل السبب في تخفيف النون هو طلب التخفيف في الفعل، لأنّ الموقف يقتضي التخفيف.

المبحث السادس: تبادل صيغ الأفعال، وجاء التبادل في صيغتي فعل المضعّة العين، وأفعال المعدّاة بالهمزة.

التمهيد

جاء التمهيد في محورين:

المحور الأول: مصطلح التوجيه اللغوي

المحور الثاني: التعريف بالقراء الثلاثة المكملين للعشرة

المحور الأول: مصطلح التوجيه اللغوي { التخريج، الاحتجاج، التعليل}.

التوجيه لغة: وهو من وجه والوجه معروف والجمع الوجوه، وَجَهُ البيت الخدُّ الذي يكون فيه بابه، أي كانت أبواب بيوتهم في المسجد، ويقال: هذا وَجَهُ الرأي، أي: هو الرأي نَفْسُهُ، والوجه والجهة بمعنى، ووجه النهار: أوله، وجنتك بوجه نهار أي: بأول نهار، وكان ذلك على وجه الدهرأي: أوله، والجهة: النحو تقول: كذا على جهة كذا، وتقول: رجل أحمر من جهته الحمرة، وأسود من جهته السواد والوجهة والوجهة: القبلة وشبهها في كل وجهة أي في كل وجه استقبلته وأخذت فيه^٤.

التوجيه اللغوي اصطلاحاً: هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين^٥. يقول الزركشي: " أمّا التوجيه وهو ما احتمل معنيين ويؤتى به عند فطنة المخاطب، كقوله تعالى حكاية عن أخت موسى عليه السلام: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ

عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿٢﴾ فإن الضمير في { له } يحتمل أن يكون لموسى وأن يكون لفرعون، قال ابن جريج: وبهذا تخلصت أخت موسى من قولهم: إنك عرفته فقالت: أردت ناصحون للملك " ^٦.

ويسميه بعض العلماء الاحتجاج للقراءات، يقول ابن خالويه: " أليست العلة هي التوجيه النحوي أو اللغوي؟ وما التوجيه النحوي أو اللغوي إلا الاحتجاج، وما الاحتجاج إلا ذكر الحجة، والحجة تتكرر في كل قراءة يعرضها " ^٨.

^٤ - انظر: لسان العرب/ وجه.

^٥ - التعريفات ٤٣.

^٦ - الفصص ١٢.

^٧ - البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣١٤.

^٨ - الحجة في القراءات السبع ١ / ٤٢.

ويسميه بعض علماء اللغة والقراءات التخريج، يقول صاحب مناهج المفسرين: " أما الأمر الثانى الذى برع فيه الزجاج فهو: التخريج النحوى للآيات الكريمة التى تحتاج إلى إيضاح نحوى " ^٩. من خلال ما مضى نعرف أنّ مصطلح التوجيه اللغوي كان شائعاً بين العلماء القدماء والمحدثين، واختلفت مسمياته، وشاعت عدّة مصطلحات وهي: التوجيه، والتخريج، والاحتجاج، والتعليل، ولا مشاحة في الاصطلاح إذغ فهم المعنى.

^٩ - مناهج المفسرين ١ / ٤٩.

المحور الثاني: التعريف بالقراء الثلاثة المكملين للعشرة

يعلم الحاذق بالقراءات أنّ القراءات القرآنية المتواترة هي عشر قراءات، منها السبعة^{١٠} المعروفة، والتي ألف فيها ابن مجاهد كتابه، وبقي القراء الثلاثة المكملين أو المتممين للعشرة، أمّا قول من قال: إنّ القراءات المتواترة لا حد لها، فإنّ أراد القراءات المعروفة في زماننا فغير صحيح؛ لأنّه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء القراءات العشر^{١١}. وأطلق عليهم بعض علماء القراءات الذين جاءوا بعدهم القراء الثلاثة، وقد ألف عثمان بن عمر الناشري كتابه المسمّى الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة، وذكر فيه انفرادات كل قارئ على حدة، وقد انفراد الثلاثة عن بقية القراء في مواضع متعددة سيأتي الحديث عنها، ولم يكن انفراده عن السبعة فقط، بل انفراده عن بقية القراء الثلاثة أيضا، وهؤلاء القراء هم :

أبو جعفر المدني هو يزيد بن القعقاع، وقيل: فيروز ابن القعقاع، وقيل: جندب بن فيروز، والأول أشهر، روى عن جابر بن عبد الله، وزيد بن أسلم وهو من أقرانه، وروى عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، قال عباس الدوري عن يحيى بن معين: ثقة، وكذلك قال النسائي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال محمد ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث^{١٢}. وأبو جعفر القارئ أحد العشرة مدني مشهور رفيع الذكر، قرأ القرآن على مولاة عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، غُسل أبو جعفر القارئ فنظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف فما شك من حضره أنّه نور القرآن رحمه الله، وقد اختلفوا في تاريخ وفاته فقال محمد بن المثني العنزي: توفي سنة سبع وعشرين ومئة، وقال خليفة: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة

^{١٠} — السبعة هم: نافع بن عبد الرحمن المدني، وعبد الله بن كثير، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وعبد الله بن عامر، وأول من سبغ السبعة ابن مجاهد انظر: الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٤٢.

^{١١} — مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٤٦٧.

^{١٢} — تهذيب الكمال ٣٣ / ٢٠٠.

إحدى وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلثين عن نيّف وتسعين سنة^{١٣}. ويرى ابن حبان في ثقافته أنّ أبا جعفر توفي سنة اثنتين وثلثين ومائة^{١٤}، وبعد النظر في كتب التاريخ والتراجم لم أجد دليلاً قاطعاً في وفاة أبي جعفر، لكن أغلب الأقوال تميل إلى أنّه مات قريباً من سنة ثلاثين ومئة.

يعقوب الحضرمي وهو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها، أخذ القراءة عرضاً عن سلام الطويل ومهدي بن ميمون وأبي الأشهب العطاردي، وشهاب بن شرنفة، ومسلمة بن محارب، وعصمة بن عروة الفقيمي، ويونس بن عبيد. ومن أعجب العجب بل من أكبر الخطأ جعل قراءة يعقوب من الشواذ التي لا تجوز القراءة بها ولا الصلاة، يقول أبو حاتم: يعقوب بن إسحاق من أهل بيت العلم بالقرآن والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة والحروف والفقهاء، وكان أقرأ القراء، وكان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف والاختلاف في القرآن وتعليقه، ومذاهب أهل النحو في القرآن، وأروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء، مات في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة^{١٥}. ذكره ابن حبان في الثقات^{١٦}.

خلف بن هشام بن ثعلب وقيل: ابن طالب بن غراب أبو محمد البغدادي المقرئ البزار أحد الأعلام، وله اختيار أقرأ به وخالف فيه حمزة، قرأ على سليم عن حمزة، وسمع من مالك وأبي عوانة وحماد بن زيد وأبي شهاب عبد ربه الحناط وأبي الأحوص وشريك وحماد بن يحيى الأربح وطائفة، وقرأ أيضاً على أبي يوسف الأعمش لعاصم، وأخذ حرف نافع عن إسحاق المسيبي وقراءة أبي بكر عن يحيى بن آدم، قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني، وأحمد بن إبراهيم وراقة، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، وإدريس بن عبد الكريم الحداد، ومحمد بن الجهم، وسلمة بن

^{١٣} — انظر: معرفة القراء الكبار ١ / ٧٦

^{١٤} — انظر: الثقات ٥ / ٥٤٤

^{١٥} — انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٣٣٦.

^{١٦} — الثقات لابن حبان ٩ / ٢٨٣.

عاصم، وخلق سواهم، وثقة ابن معين والنسائي، وقال الدارقطني: كان عابداً فاضلاً، توفي في جمادى الآخر سنة تسع وعشرين ومئتين^{١٧}.

وراوي أبي جعفر هما: ابن وردان هو: أبو الحارث عيسى بن وردان المدني الحداء، عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع، وهو من أقدم أصحاب أبي جعفر، توفي في حدود الستين ومئة^{١٨}. وابن جمّاز هو: سليمان بن مسلم بن جمّاز أبو الربيع الزهري مولاهم المدني مقرئ جليل ضابط، عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع، وقرأ بحرف أبي جعفر ونافع عرض عليه إسماعيل بن جعفر وقتيبة بن مهران، مات بعد السبعين ومائة^{١٩}.

وراوي يعقوب هما: رويس وهو: محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي رويس المقرئ، قرأ على يعقوب وتصدر للإقراء، قرأ عليه محمد بن هارون التمار، وأبو عبد الله الزبيري الفقيه الشافعي، توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومئتين^{٢٠} وروح وهو: روح أبو الحسن البصري المقرئ صاحب يعقوب الحضرمي كان متقناً مجوداً، وروى عنه البخاري في صحيحه، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات سنة ثلاث، وقال غيره: سنة أربع أو خمس وثلاثين ومئتين^{٢١}

وراوي خلف هما: إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزي ثم البغدادي، وراق خلف، وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين^{٢٢} وإدريس بن عبد الكريم الحداد المقرئ أبو الحسن البغدادي، قرأ على خلف البزار، وروى عن عاصم بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، ومصعب بن عبد الله وطائفة، وأقرأ الناس ورحل إليه من البلاد؛ لإتقانه وعلو إسناده، سئل

^{١٧} — انظر: معرفة القراء الكبار ١ / ٢٠٨. تهذيب الكمال ٨ / ٣٠٣.

^{١٨} — انظر: انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٤٢.

^{١٩} — انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٨٥.

^{٢٠} — انظر: معرفة القراء الكبار ١ / ٢١٦.

^{٢١} — انظر: السابق ١ / ٢١٥.

^{٢٢} — انظر: تحبير التيسير ١ / ١١٤.

عنه الدارقطني فقال: ثقة وفوق الثقة بدرجة، توفي إدريس يوم الأضحى سنة اثنتين وتسعين ومئتين، وله ثلاث وتسعون سنة ٢٣ .

خلف لم يخالف أحدا من القراء السبعة، بل لم يخالف حمزة والكسائي وشعبة، إلا في قوله تعالى:

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْبَةٍ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ٢٤ وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ ۗ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ ۚ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ

مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ

لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ٢٥ في كوكب دري.

ويسكت بين السورتين على قول، وإثما ذكرت خلفا؛ لأنه من الثلاثة ٢٦ . ولا يوجد سبب لعدم انفراده عن السبعة سوى الرواية، وقد يسأل سائل لم خص بقراءة، ولم لا يستغنى عن قراءته، ويعود السبب في عدم الاستغناء عن قراءته، إلى أنه لا يوافق واحدا من القراء موافقة مطلقة، فإن وافق حمزة مثلا خالف الكسائي، وكذا العكس، وقد يخالفهما جميعا، فلذلك خص بقراءة.

٢٣ — انظر: معرفة القراء الكبار ١ / ٢٥٥.

٢٤ — الأنبياء ٩٥.

٢٥ — النور ٣٥.

٢٦ — انظر: الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٤٣.

الفصل الأول

المستوى الصوتي

الفصل الأول: المستوى الصوتي.

الصوت ظاهرة طبيعية، وشكل من أشكال الطاقة، وهو يستلزم وجود جسم في حالة اهتزاز أو تذبذب، وهذه الاهتزازات أو الذبذبات تنقل عبر وسط معين حتى تصل إلى أذن الإنسان، وقد تكون ناتجة عن اصطدام جسم بآخر، أو سقوط جسم أو انفجار أو غير ذلك، كما أنّها قد تكون صادرة عن الحيوانات إلى جانب صدورها عن الإنسان، وقد فرّق العلماء بين نوعين من الأصوات: النوع الأول هو الصوت الطبيعي، وهو ما يصدر عن كل ظواهر الطبيعة وكل الموجودات فيها، والنوع الآخر هو ما يصدر عن الإنسان دون غيره. فالجهاز النطقي للإنسان قادر على إنتاج أصوات كثيرة، كما أنّه قادر على إنتاج أنواع من الضجيج والضوضاء تبعد عن اللغة بقدر ما تبعد عنها أصوات الطبيعة، ولكي يكون الصوت لغوياً بالمعنى العام، فإنّ الأصوات الصادرة عن الجهاز النطقي يجب أن تكون ذات معنى، وتنقل رسالة محددة من عقل إنسان إلى آخر^{٢٧}. ولذا فإن هذا الفصل جاء في سبعة مباحث هي:

المبحث الأول: الهمز.

المبحث الثاني: التنوع الكمي للحركات.

المبحث الثالث: التوافق الحركي { الإتياع }.

المبحث الرابع: الهاء.

المبحث الخامس: التضعيف والتخفيف.

المبحث السادس: الإدغام { المماثلة }.

المبحث السابع: مسائل صوتية متفرقة.

^{٢٧} - انظر: أسس علم اللغة ٣٨.

المبحث الأول: الهمز

تعد الهمزة من أثقل الحروف نطقاً وأبعدها مخرجاً، ويصفها سيبويه بأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجاً^{٢٨}.

وكانت أكثر القبائل الحجازية تخففها طلباً للسهولة والتيسير في لسانها، يقول سيبويه: "وتقول أقري باك السلام بلغة أهل الحجاز؛ لأنهم يخففونها"^{٢٩}.

ويقول الفراء: "قوله: {تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ} في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِمْ

إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ فلما خر تبيّنت الحن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب

المهين^{٣٠} همزها عاصم والأعمش، ولم يهمزها أهل الحجاز ولا الحسن، ولعلهم أرادوا لغة

قريش، فإنهم يتركون الهمز"^{٣١}.

وقد اختلفت القبائل العربية في تحقيق الهمزة وتسهيلها، وتكاد كتب القراءات تجمع على أن تحقيق الهمزة من لهجات تميم وقيس وبني أسد ومن جاورها، أي قبائل وسط شبه الجزيرة العربية وشرقيها، وأن تسهيلها لهجة الحجاز^{٣٢}.

^{٢٨} - انظر: الكتاب ٣ / ٥٤٨، المقتضب ١ / ٢٩٢.

^{٢٩} - انظر: الكتاب ٣ / ٥٥٠.

^{٣٠} - سبأ: ١٤.

^{٣١} - معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧.

^{٣٢} - انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٠٥.

والقبائل التي تهمز تميم، وتيمُّ الرباب، وعُكَل، وأسد، وعقيل، وقيس، وبنو سلامة من أسد، أمّا من يميلون إلى البعد عن الهمزة بتخفيفها أو تليينها تارة، وبتحويلها أو نقلها تارة أخرى فهم الحجاز وغازة — إحدى القبائل المتحضرة — وهذيل، وأهل المدينة والأنصار، وقريش، وكنانة، وسعد بن بكر^{٣٣}.

ولغة تسهيل الهمزة هي لغة أكثر القبائل الحجازية، غير أنّ بعضها يهمز، يقول سيبويه: " بلغنا أنّ قوما من أهل الحجاز، من أهل التحقيق، يحققون نبيء وبريئة، وذلك قليل رديء " ^{٣٤}. ويقصد سيبويه أنّ ذلك قليل رديء عند الحجازيين؛ لأنّ أغلب أهل الحجاز لا يهمزون. يقول أبو علي: " وإنما استردأه؛ لأنّ الغالب في استعماله التخفيف على وجه البذل من الهمز، وذلك الأصل كالمرفوض، فَرَدَوْا عنده ذلك؛ لاستعمالهم فيه الأصل الذي قد تركه سائرهم " ^{٣٥}.

أمّا حديث الأعرابي أنّه همز نبيء أمام النبي — صلى الله عليه وسلم — فيقول ابن حجر العسقلاني: قد روى حديث همز النبيء بإسناد لين وجاء بإسناد آخر جيد مرسل ^{٣٦}.

فهمز بعض الكلمات عند بعض القبائل الحجازية ليس رديئاً، لأنّ ذلك مقروء في السبعة، فقرأ نافع وحده {النَّبِيِّ} في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ و وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عُمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةً

^{٣٣} — انظر: اللهجات العربية في التراث ١ / ٣٣٦.

^{٣٤} — الكتاب ٣ / ٥٥.

^{٣٥} — الحجة للقراء السبعة ٢ / ٩١.

^{٣٦} — انظر: لسان الميزان ٤ / ٥.

مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ

عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^{٣٧}، بهمزتين مخففة فمسهلة كالياء^{٣٨}. فهمز بعض الكلمات عند

بعض القبائل المتحضرة موجود لكنه قليل.

ولو أمعنا النظر في القبائل التي التزمت تحقيق الهمز في كلامها لوجدناها قبائل بدوية، ونحن نعرف بأن الهمزة صوت شديد، والنطق بها يحتاج إلى جهد، لذلك كان النطق بها أمرا طبيعيا يلائم ما عرف عند البدو من غلظة وجفاء في الطبع^{٣٩}. فناسبتهم الصعوبة في نطق الهمزة؛ لصعوبة عيشهم.

ولما بعدت الهمزة مخرجا وثقلت نطقا، كان لا بد أن يعترئها الكثير من التغيير في كلام العرب خاصة عند أهل الحضر.

يقول سيبويه: " اعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف حذفها وألقت حركتها على الساكن الذي قبلها، وذلك قولك: من بوك، ومن مك، وكم بك إذا أردت أن تخفف الهمزة في الأب والأم والإبل، ومثل ذلك قولك: الحمر إذا أردت أن تخفف ألف الأحمر، ومثله قولك في المرأة: المرة، والكمأة: الكمة، وقد قالوا: الكمأة والمرأة ومثله قليل " ^{٤٠}.

^{٣٧} — الأحزاب: ٤٥، ٥٠.

^{٣٨} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٥٥.

^{٣٩} — انظر: السابق ١ / ٣٣٦.

^{٤٠} — الكتاب ٣ / ٥٤٥.

ويقول محمد الزرقاني: " وأما تخفيف الهمزة ونحوه من النقل فمتواتر قطعاً معلوم أنه منزل من الأحرف السبعة، ومن لغات العرب الذين لا يحسنون غيره، وكيف يكون غير متواتر أو من قبيل الأداء؟ وقد أجمع القراء العشرة على تخفيف الهمز في مواضع نحو: آلآن، الله، الذكّرين^{٤١}.
وأحكام الهمز كثيرة نقصر الحديث على أمور تخص دراستنا وهي خمسة: النقل، والإبدال، والتسهيل، والإسقاط بلا نقل، وإحكام الهمزة^{٤٢}.

أما موقف القراء الثلاثة من مسألة تخفيف الهمزة فقد بانّت ظاهرة تخفيف الهمزة في كثير من المواطن التي انفرد بها أبو جعفر عن بقية القراء، ونذكر أنّ خلفاً لم يخالف القراء السبعة في أي موطن من القرآن، ولم يقع أيّ انفراد لأيّ نوع من تخفيف الهمزة في القرآن عند يعقوب، فكانّ قراءة أبي جعفر تمثل بيئته التي عرفت بتسهيل الهمزة، وقراءة يعقوب تمثل بيئته البدوية التي عرفت بتحقيق الهمزة،

وجاء المبحث في خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: تليين الهمزة { همزة بين بين، أو الهمزة المسهلة }.

المطلب الثاني: إبدال الهمزة

المطلب الثالث: حذف الهمزة

المطلب الرابع: نقل حركة الهمزة.

المطلب الخامس: الهمزة المقحمة.

^{٤١} - انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٤٤٤.

^{٤٢} - انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة ١/٤١٢ - ٤١٣.

المطلب الأول: تليين الهمزة { همزة بين بين، أو الهمزة المسهلة }

تعد الهمزة المليئة من الفروع المستحسنة؛ ذلك لقربها من الأصول وامتزاجها بها^{٤٣}، وتُجعل بينَ بين، أي بين مخرجها وبين مخرج الحرف الذي منه حركتها^{٤٤}، فإذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها مفتوح كان النطق بها بين الهمزة والألف، وإن كانت مضمومة وقبلها مضموم نطق بها بين الهمزة والواو، وإن كانت مكسورة نطق بها بين الهمزة والياء^{٤٥}.

وبتليين الهمزة قرأ أبو جعفر في مواطن كثيرة، نذكر أبرزها، يقول شهاب الدين الدمياطي: " قرأ أبو جعفر بتسهيل إسرائيل وكأين حيث وقعا " ^{٤٦}، إلا أنه سهل همزة كائن مع المد والقصر^{٤٧}، وقرأ أن ذكرتم بتسهيل الهمزة الثانية^{٤٨}.

ويشير سيبويه إلى لغة التليين والمد قائلًا: " إن أهل الحجاز منهم من يقول: إنك و أنت — وهي التي يختار أبو عمرو — ؛ وذلك لأنهم يخففون الهمزة، كما يخفف بنو تميم في اجتماع الهمزتين فكهوا التقاء الهمزة والذي هو بين بين، فأدخلوا الألف كما أدخلته بنو تميم في التحقيق"^{٤٩}. وفي كائين لغات خمس. أحدها: كائين وهي الأصل، والثانية: كائن بزنة كاعن،

^{٤٣} — انظر: اللباب في علل البناء والإعراب ٢ / ٤٦٢.

^{٤٤} — انظر: المفصل في صناعة الإعراب ١ / ٤٨٩.

^{٤٥} — انظر: الكتاب ٣ / ٥٤١ — ٥٤٢، سر صناعة الإعراب ١ / ٥٣.

^{٤٦} — إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١ / ٧٩، انظر الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٥٠.

^{٤٧} — انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١ / ٤٤١.

^{٤٨} — انظر: السابق ١ / ٦٥.

^{٤٩} — الكتاب ٣ / ٥٥١.

والثالثة: كآئن بباء خففة بعد الهمزة، والرابعة: كآئن بباء ساكنة بعدها همزة مكسورة، والخامسة: كآئن على مثال كع^{٥٠}.

والسبب في جعل همزة بين بين على هذه الشاكلة دون حذفها أو إبدالها، هو أن يُعلم أن أصلها عندهم همزة، ويبقى دليل على ذلك^{٥١}.

ويرى أهل اللغة المحدثون أن مصطلح بين بين هو سقوط الهمزة من الكلام، تاركة حركة وراءها، فالذي نسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة، بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة الهمزة، من فتحة أو ضمة أو كسرة، ويترتب على هذا النطق التقاء صوتي لين والحق أنه لا بد من قيام أهل اللغة المحدثين من تسجيل كيفية قراءة همزة بين بين من أفواه القراء الكبار بالآلات الصوتية الحديثة؛ ليقفوا على حقيقة هذه الهمزة. يقول ابن يعيش: " لا يظهر سرّ هذه الهمزة ولا ينكشف حالها إلا بالمشافهة " ^{٥٢}.

^{٥٠} - انظر: الدر المصون ٣ / ٤٢٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١ / ٥٤٦، اللباب في علوم الكتاب ٥ / ٥٨٠، تفسير البحر المحيط ٣ / ٧٧.

^{٥١} - انظر: الكتاب ٣ / ٥٤٢، والحجة في القراءات السبعة ٣٧٧.

^{٥٢} - انظر: الأصوات اللغوية ٩١، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٠٥ - ١٠٦.

^{٥٣} - شرح المفصل ٩ / ١١٢.

المطلب الثاني: إبدال الهمزة

يعد إبدال الهمزة من أنواع التخفيف عند العرب، ويكثر التخفيف عند الحجازيين؛ لكونهم سكان حضر يميلون إلى السهولة، فناسبهم إبدال الهمزة، والإبدال: هو أن تبدل الهمزة الساكنة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها فتبدل ألفا بعد الفتح نحو قوله تعالى: " وَأَمْرٌ أَهْلَكَ " ^{٥٤}، وتبدل واوا بعد الضم نحو قوله: يُؤْمِنُونَ، وتبدل ياء بعد الكسر نحو: جِئْتَ ^{٥٥}.

ويشير الزمخشري إلى الإبدال قائلاً: لا تخلو الهمزة إمّا أن تقع ساكنة فيبدل منها الحرف الذي منه حركة ما قبلها، كقولك: رأس [راس]، وقرأت [قريت]، وبيبر [بئر] وجيت [جئت] ولوم [لوم] ^{٥٦}.

ولم يبدل أحد من قرائنا الثلاثة الهمزة سوى أبي جعفر، حيث قرأ بإبدال الهمزة بجميع حروف المد ^{٥٧} بحسب حركة ما قبلها إن كانت ضمة فواو، أو كسرة فياء، أو فتحة فالف، واستثنى من

ذلك كلمتين وهما أنبيئهم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْبِيَئِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ

أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ^{٥٨} ونبيئهم في

^{٥٤} - طه ١٣٢ .

^{٥٥} - انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة ١ / ٤١٢ - ٤١٣ .

^{٥٦} - انظر: المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٤٨٩ .

^{٥٧} - من ذلك كلمة " الرؤيا " حيث جاءت، " رِئَاءِ النَّاسِ " حيث جاءت، " استهزئ " حيث جاءت، ونَاشِئَةً في المزمّل ٦، وشَانِئَكَ في الكوثر ٣، والأمثلة كثيرة على ذلك.

^{٥٨} - البقرة ٣٣ .

قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبرَاهِيمَ ﴾^{٥٩}، أما نَبَّئْنَا في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجَنَ

فَتَيَّانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِّي أَخَصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِّي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ

مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ إِنَّا نَزَّلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿^{٦٠} فمفهوم الدرة إبداله، وزاد في الطيبة عدمه^{٦١}.

ولا يوجد سبب في استثناء أبي جعفر لهاتين الكلمتين سوى الرواية، يقول عثمان الناشري: " وتعداد مخالفته في مثل هذا يعسر وضوحه ويعفى عن استيعابه " ^{٦٢}.

والحق هو أن الناطق أسقط الهمزة الثانية في الأمثلة آمن، وأومن، وإيمان، وعوض مكانها حركة قصيرة مجانسة لما قبلها، فتحولت حركة الهمزة الأولى من قصيرة إلى طويلة^{٦٣}

^{٥٩} - الحجر ٥١، والقمر ٢٨.

^{٦٠} - يوسف ٣٦.

^{٦١} - الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٤٨.

^{٦٢} - السابق ٣٤٨.

^{٦٣} - انظر: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ١٥٦.

المطلب الثالث: حذف الهمزة

يعد حذف الهمزة نوعاً من أنواع التخفيف، وهو إسقاطها بلا نقل، فتخفف الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها.

يقول سيبويه: "وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه بين وبين وتبدل وتحذف" ^{٦٤}. ويقول الزمخشري: "إن كان حرفاً صحيحاً أو واواً أو ياءاً أصليتين أو مزيدتين لمعنى أقيت عليه حركتها، وحذفت كقولك: مسلسل، والخب، ومن بوك، ومن بلك" ^{٦٥}.

وقرأ أبو جعفر بإسقاط الهمزة في جميع المواضع التي تكون فيها الهمزة مضمومة بعد كسر وبعدها واو، فإنّ أبا جعفر يحذف الهمزة نحو: "مستهزون، والصابون، ومتكون، ومالون، وليواطوا، ويطفوا، وقل استهزوا" وما أتى من ذلك.

يقول عبد الصبور شاهين: "والحاصل في هذه الحالة هو سقوط الهمزة مع حركة ما قبلها وبقاء حركتها" ^{٦٦}. لكنّ الصواب أن نقول: وإشباع حركتها بدل بقائها.

ويحذف أبو جعفر الهمزة مع حركتها إذا كانت مكسورة بعد كسر بعدها مثل: "متكئين، والصابئين، والخاطئين، وخاطئين" والمستهزئين "وذلك مطرد حيث وقعت" ^{٦٧}.

وشدد أبو جعفر الزاي وحذف الهمزة في جزءا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي

كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُ تُوْمِنَ قَالِ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ

^{٦٤} - الكتاب ٣ / ٥٤١.

^{٦٥} - المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٤٠٩.

^{٦٦} - انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٤٥.

^{٦٧} - انظر: النشر في القراءات العشر ١ / ٤٥٠.

إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾ ،

وجزاء في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ ^{٦٩} ، وحذف الهمزة من

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ

لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٠﴾ غير أنه شدد الياء ^{٧١} . والحاصل في حذف الهمزة وتشديد ما قبلها، هو

تحول النبر في هذه الكلمة من نبر همزيّ إلى نبر تضعيف ^{٧٢} .

وحذف الهمزة مع التضعيف يؤكد أن قراءة أبي جعفر تمثل البيئة الحجازية خير تمثيل، مع أن القراءة سنة متبعة لا تأتي على لهجة قوم القارئ، يقول عبد الصبور شاهين: " فالتضعيف الذي يجيء نتيجة سقوط الهمزة حجازي، ولا ينبغي أن ينسب إلى غير أهل الحجاز؛ لأن الصورة الأخرى من الكلمة هي الهمز لا غير [والهمز تميمي] " ^{٧٣} .

^{٦٨} - البقرة ٢٦٠

^{٦٩} - الحجر ٤٤، والزخرف ١٥

^{٧٠} - آل عمران ٤٩، والمائدة ١١٠.

^{٧١} - انظر: الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٥١.

^{٧٢} - انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٥٣.

^{٧٣} - انظر: السابق ١٥٠.

المطلب الرابع: نقل حركة الهمزة .

يعد نقل حركة الهمزة نوع من أنواع تخفيفها، وهو لغة لبعض العرب، اختص بها ورش بشرط أن يكون آخر كلمة، وأن يكون غير حرف مد، وأن تكون الهمزة أول الكلمة الأخرى، سواء أكان ذلك الساكن تنويناً، أو لام تعريف، أو غير ذلك فيتحرك ذلك الساكن بحركة الهمزة، وتسقط هي من اللفظ لسكونها^{٧٤}.

ونقل حركة الهمزة أشار سيوييه في كتابه قائلاً: " اعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف حذفها، وأقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، وذلك قولك: من بوك، ومن مك، وكم بك إذا أردت أن تخفف الهمزة في الأب والأم والإبل، ومثل ذلك قولك: الحمر إذا أردت أن تخفف ألف الأحمر، ومثله قولك: في المرأة المرة، والكمأة الكمة، وقد قالوا: الكمأة والمرأة، ومثله قليل^{٧٥}.

وبعض علماء اللغة جعلها من التخفيف، يقول الزجاج: " من العرب من ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها مثل لام التعريف عاملها معاملتها الساكنة، ولا يعتد بحركة النقل، فيكسر الساكن الواقع قبلها، ولا يدغم فيها التنوين، ويأتي قبلها بهمزة الوصل فيقول: لم يذهب لحمر، ورأيت زيادا لعجم، وهذه هي اللغة المشهورة " ^{٧٦}.

وعلة النقل هي طلب السهولة والتيسير، فإن قالون نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف، وإن لم يكن من أصله النقل؛ لأجل قصده التخفيف بالإدغام^{٧٧}.

أما قرأونا الثلاث فقد انفرد أبو جعفر في موضع واحد فقرأ: " من أجل ذلك " في قوله تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ

^{٧٤} - النشر في القراءات العشر ١ / ٤٠٨.

^{٧٥} - السابق ٣ / ٥٤٥.

^{٧٦} - معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٧٧.

^{٧٧} - انظر: السابق ٥ / ٧٧.

فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا^{٧٨} وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ

رُسُلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٧٨﴾ فنقل حركة الهمزة

إلى النون ووافقها الحسن^{٧٩} فأبو جعفر وصل الألف وكسر النون قبلها، وهذا على أنه ألقى حركة الهمزة على النون كما قالوا: كم ابلك بكسر الميم ووصل الألف، ومن إبراهيم من براهيم^{٨٠}.

والحق أن الحاصل هو حذف الهمزة، ومن ثم إعادة ترتيب المقاطع، فقوله تعالى: " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ " ترتيب مقاطعها يكون على النحو الآتي:

مِنْ أَجْلِ وبعد حذف الهمزة وإعادة ترتيب المقاطع صار على النحو الآتي: م نَج ل ، وتخفيف الهمزة بالنقل مستخدم في كلامنا ولهجاتنا الحالية حيث يقولون: لِحْمَرٍ لِّبَيْضٍ، بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها^{٨١}.

ومن الملاحظ أن قراءة أبي جعفر قد وافقت لهجة قومه في تخفيف الهمزة بجميع ألوان التخفيف من تليين وإبدال وحذف ونقل، مع أن القراءة سنة متبعة، ويرى عبده راجحي أن قراءة أبي جعفر كانت تمثل بيئته خير تمثيل^{٨٢}، غير أن ذلك لا يعني أن القراء يقرؤون بلغة قبائلهم، بل إن القراءة سنة متبعة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، يقول: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم"^{٨٣}، أما صاحبنا يعقوب فلم ينفرد بأي موضع فيه تخفيف، فكأنه قرأه قد وافقت لهجة قومه

^{٧٨} - المائدة ٣٢.

^{٧٩} - إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٥٣.

^{٨٠} - انظر: المحتسب ١ / ٢٠٩ - ٢١٠، المحرر الوجيز ٢ / ٢١١. تفسير البحر المحيط ٣ / ٤٨٣.

^{٨١} - توجيهات ابن خالويه الصوتية في القراءات القرآنية في كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٢١.

^{٨٢} - اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٩٩.

^{٨٣} - المقدمات الأساسية في علوم القرآن ١٩١.

بتحقيق الهمز، فهم من البصرة وأهل البصرة أهل بداعة، وأهل البادية يحققون الهمز، أما خلف فلم يخالف أحدا من القراء السبعة.

المطلب الخامس: الهمزة المقحمة

تنوعت العربية في تلوين الهمزة، فتارة يحققونها، وتارة يخففونها، وتارة يقحمونها ويضيفونها لغير المهموز.

ويعرفها الدكتور يحيى عباينة قائلاً: " هي تلك الهمزة التي لا تكون موجودة في البنى العميقة {الأصل} لبعض الأنماط التي وصلت إلينا مهموزة في بعض الاستعمالات اللغوية"^{٨٤}.

والسبب في إقحام الهمزة هو سبب صوتي، ويعود لأحد الأسباب الآتية:

أولاً: الهمز الناشئ عن المقطع المكروه {المستقل}.

ثانياً: الهمز الناشئ عن تقصير الحركات الطويلة والتعويض عن هذا التقصير.

ثالثاً: الهمز الناشئ عن التخلص من الحركات المزدوجة^{٨٥}.

ولم يقرأ أحد من الثلاثة بإضافة الهمزة سوى أبي جعفر، حيث قرأ ربأت بهمزة مفتوحة بعد الباء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي

أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ في موضعين^{٨٦}، وقرأ الباقيون بحذف الهمزة فيهما^{٨٧}.

^{٨٤} — دراسات في فقه اللغة و الفنونولوجيا العربية ١٦٥.

^{٨٥} — انظر: السابق ١٦٥ — ١٦٦.

^{٨٦} — الحج / ٥، فصلت / ٣٩.

^{٨٧} — انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٢٥، تفسير البحر المحيط ٦ / ٣٥٨، إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٩٦.

وربأت القوم إذا علوت شرفاً من الأرض طليعة، فكأن الأرض تتناول وتعلو^{٨٨}.

وربأت بك أرفع الأمر: رفعتك، ويقال: إني لأربأ بك عن ذلك الأمر، أي أرفعك عنه ولا أرضاه لك، وقرئ " فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربأت " أي ارتفعت، وقال الزجاج: ذلك لأنّ النبات إذا همّ أن يظهر ارتفعت له الأرض^{٨٩}.

أما ربّت فيقول الفراء: " وقوله تعالى: " اهترت وربّت " زاد ريعها، وربّت، أي: أنها تنتفخ، ثمّ تصدّع عن النبات " ^{٩٠}.

وهناك اختلاف قليل بين ربت وربأت في المعنى، يقول ابن منظور: " اهترت وربّت " قيل معناه: عظمت وانتفخت، وقرئ وربأت، فمن قرأ وربّت فهو ربا يربو إذا زاد على أيّ الجهات زاد، ومن قرأ وربأت بالهمز فمعناه ارتفعت^{٩١}.

ويعدّ سبب إقحام الهمز في علم اللغة الحديث في هذه الآية هو التخلص من الحركات المزدوجة ولهذا النمط عدد من المظاهر وما يخص دراستنا منها هو المقطع الطويل المغلق بصامتتين، من ذلك قراءة من ذلك قراءة أيوب السخّتياني: ﴿ صِرَطَ الَّذِينَ أُنعمتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَعصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ ﴾ بهمز الضالّين، وحكى أبو العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد قال: سمعت عمرو بن

^{٨٨} — المحرر الوجيز ٤ / ١٣٢.

^{٨٩} — تاج العروس من جواهر القاموس ١ / ٢٣٧.

^{٩٠} — معاني القرآن للفراء ٣ / ١٨، الباب في علوم الكتاب ٤ / ٤٤٦.

^{٩١} — لسان العرب / ربا.

عُبِيدَ يَقْرَأُ جَانًّا: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ فَظَنَنْتَ أَنَّهُ قَدْ لَحِنَ إِلَى

أَنْ سَمِعْتَ الْعَرَبَ تَقُولُ: شَابَّةٌ وَدَابَّةٌ^{٩٢}.

ويعلق الدكتور يحيى عباينة على قراءة ربأت قائلا: "ونذكر في هذا الجزء مظهرا أخيرا – يعني المقطع الطويل المغلق – ولكنه ليس مستقلا في هذه الحالة، بل إنه مرفوض ولا يجوز في العربية، وذلك لأنه لا يتحقق فيه شرط من شروط جوازه السابقة الذكر، وذلك ما ورد في قراءة شاذة في قوله تعالى: { اهتزت وربت } فقد روي عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع أنه قرأ ربأت، ووجه القراءة عندي أنه همز الأصل، ولم يهزم الصورة التي تبدو في البنية السطحية (ربت) فالأصل (البنية العميقة) هو ربأت، وقد حذفت العربية جزءا من الفتح الطويلة بسبب تشكل المقطع الطويل المغلق الذي يُرْفَضُ ما لم تحقق فيه شروط جوازه، ولكن يبدو أن بعض اللهجات قد نحت منحى آخر، فلم تقصر النواة كما حدث هنا، بل لجأت إليه في الصيغ السابقة التي كانت المقطع فيها مستقلا حسب، فقسمت النواة الطويلة إلى نواتين قصيرتين، شكلت إحداها نواة لمقطع الباء القصير المفتوح، فيما انضمت الثانية إلى التاء، مما اقتضى إقحام الهمزة؛ ليصبح مبدوءا بصامت كما تقتضي طبيعة النظام المقطعي للعربية^{٩٣}.

ولعل الدكتور يحيى عباينة لم ينتبه إلى أن القارئ أبا جعفر من القراء العشرة، وقراءته متواترة ليست شاذة كما وصفها، ولو تنبه إلى ذلك لأعاد النظر في كلامه، وما خلصت إليه هذه الدراسة هو أن العرب تنطق ربت دون همز، وجاء إقحام الهمز عن قلة منهم، فنزل القرآن بالوجهين، والمتأمل في اختلاف المعنى فيما سبق بين ربت وربأت يجده طفيفا فكلا المعنيين يدل على انتفاخ الأرض وعلوها؛ لتخرج نباتها.

^{٩٢} – الخصائص ٣ / ١٤٨.

^{٩٣} – دراسات في فقه اللغة والفتولوجيا العربية ١٧١.

المبحث الثاني: التنوع الكمي للحركات

كانت الحركات القصيرة والطويلة وما زالت موضع اهتمام الدارسين منذ القديم إلى هذه الأيام، وهذا مصطلح علماء اللغة المحدثين، أمّا القدماء فيعنون بالحركات الحركات القصيرة، أمّا الطويلة فهي حروف المد، وتتنوع كميتها بحسب أحوالها وبما جاورها، وجاء هذا المبحث في المطالب الآتية.

المطلب الأول: مطل الحركة القصيرة.

المطلب الثاني: اجتزاء الحركات الطويلة { تقصير الحركة الطويلة }.

المطلب الثالث: حذف الحركة.

المطلب الرابع: اختلاس الحركة.

المطلب الخامس: الحركة الطويلة الممطولة.

المطلب الأول: مطل الحركة القصيرة

هو إشباع الحركة القصيرة لتصبح طويلة من جنسها، فتصبح الفتحة ألفا {فتحة طويلة} ، والضممة واوا {ضممة طويلة} ، والكسرة ياء {كسرة طويلة} ، وهذا يعني زيادة الزمن المستغرق في أثناء النطق بالحركة، ولا يوجد فرق بين الحركة الطويلة والقصيرة من حيث القيمة الصوتية إلا في الكمية^{٩٤}.

وإلى ذلك أشار ابن جني في باب مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف إذ قال: "إن الحركة حرف صغير، ألا ترى أن من متقدمي القوم من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة، ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفا من جنسها " ^{٩٥}.

ونلاحظ أن ابن جني قد أشار إلى أن الفرق بين حروف المد والحركات هو فرق زمني في نطقها، وهذا ما سار عليه علماء اللغة المحدثون.

ووقع مطل الحركات القصيرة لتصبح طويلة في ياءات الزوائد، وهي الزوائد على الرسم القرآني، وتأتي في أواخر الكلم، ولأنها زائدة على الرسم سميت بالزوائد^{٩٦}.

وبالنظر لقرائنا الثلاثة فقد انفرد أبو جعفر بفتح الياء وإثباتها وصلا في ثلاثة مواضع أولها:

يُرْدَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ءَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي

^{٩٤} — انظر: توجيهات ابن خالويه الصوتية في القراءات القرآنية في كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٢٣ — ٨٥.

^{٩٥} — الخصائص ٢ / ٣١٥.

^{٩٦} — انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ١٧٩.

شَفَعَتْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُقَدُّونَ ﴿٩٧﴾ ، يقول شهاب الدين الدمياطي: " قرأ أبو جعفر بإثبات الياء

مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف كوقف يعقوب عليها، والباقون بحذفها فيهما "٩٨.

وثانيها: أَلَا تَتَّبِعَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ﴿٩٩﴾ ، ثالثها: حسرتاي في قوله

تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ بياء

بعد الألف، وفتحها عنه ابن جمار ١٠١.

وإثبات الياء في المواطن الثلاثة له بعد بلاغي، ففي الموطن الأول: دلالة على كمال الالتجاء
للله، والثاني: على القرب، فموسى يتعجب من مخالفة هارون له مع قربه الشديد منه فهو نبي وأخ،
والثالث: التسليم وإلقاء النفس أمام الله عز وجل ١٠٢.

واختلف العلماء في توجيهها على أقوال: أولها أراد يا حسرتي، على الإضافة، لكنّ العرب
تحول ياء الكناية ألفاً في الاستغاثة، فتقول: يا حسرتا ويا ندامتا، وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف
ليدل على الإضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر يا حسرتاي ١٠٣.

ثانيها: أنه جمع بين العوض والمعوض منه، كقولك: يا اللهم، فجمع بين ياء النداء والميم التي
تسد مسد ياء النداء، وإنما الميم في الآخر عوض عن الياء في الأول ١٠٤.

٩٧ - يس ٢٣.

٩٨ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١ / ١٥٥.

٩٩ - طه ٩٣.

١٠٠ - الزمر ٥٦.

١٠١ - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٦٢.

١٠٢ - انظر: التعبير القرآني ٨٥.

١٠٣ - انظر: معالم التنزيل ٧ / ١٢٩، الكشف والبيان ٨ / ٢٤٦، البحر المديد ٦ / ٤١٧.

ثالثها: أراد تنثية الحسرة مثل: لبيك وسعديك؛ لأنّ معناهما لب بعد لب، وسعد بعد سعد، فكذلك هذه الحسرة بعد حسرة؛ لكثرة حسراتهم يومئذ، أو أراد حسرتين فقط من قوّت الجنة لدخول النار، لكان مذهباً، ولكانت ألف التنثية في تقدير الياء على لغة بلحرت بن كعب^{١٠٥}.

والتوجيه الأول والثالث صحيحان، لورودها في العربية فزيادة الياء بعد الألف واردة، فبعض العرب تحول الياء إلى الألف في كل كلام كان معناه الاستغاثة إذا أراد الدعاء، ويلحقونها الهاء أحياناً، يقول الفراء: وأنشدني أبو فقّعس^{١٠٦}:

يا مرحباً بحمار ناجية إذا أتى قربته للسانية^{١٠٧}.

وأنشد عروة بن حزام العذري: يا مرحباً بحمار عفراء^{١٠٨}. بضم أو كسر الهاء. وربما الحقوا الياء؛ لتدل على الإضافة، كقراءة أبي جعفر يا حسرتاي^{١٠٩}. وإرادة تنثية الحسرة؛ لكثرة حسراتهم يومئذ، ولكانت ألف التنثية في تقدير الياء على لغة بلحرت بن كعب، وهو توجيه وجيه لوروده على لغة أناس من العرب.

أمّا التوجيه الثاني أنّ العرب تجمع بين العوض والمعوض منه كقولك: يا اللهم، فهذه المسألة ذكرت كتب اللغة فيها شاهدين الأول:

إني إذا ما حدث أماً أقول يا اللهم يا اللهم

هذان البيتان من الرجز المشطور، ولا يعرف قائلهما^{١١٠}.

^{١٠٤} – انظر: المحتسب ٢ / ٢٣٨ – ٢٣٩، تفسير البحر المحيط ٧ / ٤١٧.

^{١٠٥} – انظر: تفسير البحر المحيط ٧ / ٤١٧.

^{١٠٦} – انظر: معاني القرآن للفراء ٢ / ٤٢٢.

^{١٠٧} – انظر: السابق ٢ / ٤٢٢.

^{١٠٨} – خزنة الأدب ٧ / ٢٥٤. بعد الرجوع لديوان عروة بن حزام لم أجد هذا البيت في ديوانه، ولم ينسبه كثير من كتب الأدب واللغة مثل: الخصائص ٢ / ٣٥٨، المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٤٦١، شرح الرضي على الكافية ١ / ٤٢٠، تهذيب اللغة / مادة سني، تاج العروس / مادة سني وذكرته غالب كتب التفاسير فقالوا: أنشد الفراء، تهذيب اللغة / مادة سني.

^{١٠٩} – الكشف والبيان ٨ / ٢٤٦.

والآخر: وما عليك أن تقول كما صليت أو سبحت يا اللهم

هذا الرجز أيضاً مما لا يعرف قائله^{١١١}.

يقول أبو البركات: " فإن قيل: لم ألحقت الميم المشددة في آخر هذا الاسم نحو: اللهم، قيل: اختلف النحويون في ذلك، فذهب البصريون إلى أنها عوض من يا التي للتنبيه والهاء مضمومة؛ لأنه نداء، ولهذا لا يجوز أن يجمعوا بينهما، فلا يقولون: يا اللهم لئلا يجمعوا بين العوض والمعوض، وذهب الكوفيون إلى أنها ليست عوضاً من يا، وإنما الأصل فيه يا الله أمناً بخير، إلا أنه لما كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا بعض الكلام، تخفيفاً كما قالوا: أيش والأصل أي شيء، وقالوا: ويَلَمّه والأصل ويل أمه، وهذا كثير في كلامهم " ^{١١٢}.

فنلاحظ أن البصريين لم يجوزوا الجمع بين العوض والمعوض، ولم يجوز الكوفيون ذلك، وإنما رأوا أن الأصل فيه يا الله أمناً بخير.

ولم أجد لأبيات الرجز الماضية أي نسبة صحيحة في كتب اللغة والأدب، ولهذا لا يجوز أن يستدل بهما على جواز الجمع بين العوض والمعوض، ولهذا السبب ضعف هذا التوجيه، مع صحة القراءة.

وأثبت رويس عن يعقوب الياء في يا عباد فاتقون في قوله تعالى: ﴿ هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ مُّظَلَّلُونَ مِنَ النَّارِ

وَمَنْ تَحْتَهُمْ مُّظَلَّلُونَ ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُونَ ﴾^{١١٣} بخلاف عنه، وأثبت يعقوب جميع رؤوس

الآي، وهي ست وثمانون ياء مثل: فارهبوني في قوله تعالى: ﴿ يَبْنَئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي

^{١١٠} – انظر: خزنة الأدب ٢ / ٢٥٨.

^{١١١} – انظر: السابق ٢ / ٢٥٩.

^{١١٢} – أسرار العربية ١ / ٢١١.

^{١١٣} – الزمر ١٦.

أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿١١٤﴾ ، ومثلها " تفضحون في قوله تعالى:

﴿ قَالَ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُغَيِّبُ فَلا تَفْضَحُونِ ﴾ ﴿١١٥﴾ ، وغيرها ^{١١٦} . فيعقوب قرأ رؤوس الآي على الأصل،

وهو إثبات الياء ^{١١٧} . ومطل الحركة لغة قوم من العرب ذكرها سيبويه عنهم في كتابه حيث قال: " وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون: هذا زيدو، وهذا عمرو، ومررت بزَيْدِي وبعْمَرِي، جعلوه قياساً واحداً فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف " ^{١١٨} .

يقول سيبويه: " إن أناساً من العرب ربّما مدّوا مثل: مَسَاجِدٍ وَمَنَابِرٍ فيقولون مَسَاجِيدٍ وَمَنَابِيرٍ،

شبهوه بما جُمع على غير واحد في الكلام كما قال الفرزدق ^{١١٩} :

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفَى الدَّنَائِرِ تَنْقَادُ الصِّيَارِفِ " ^{١٢٠} .

يقول الكسائي: يقال: فيه وفيه، وفيه وفيه بتمام وغير تمام ^{١٢١} . وأشار ابن جني إلى

الإشباع صراحة بقوله: " وحدثنا أبو عليّ أن أحمد بن يحيى حكى: خذه من حَيْثُ ولبسا، قال:

^{١١٤} — البقرة ٤٠، النحل ٥١ .

^{١١٥} — الحجر ٦٨ .

^{١١٦} — انظر: الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٥٦ .

^{١١٧} — انظر: معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٢١، الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٣٣، اللباب في علوم الكتاب ٢ / ١٣ .

^{١١٨} — الكتاب ٤ / ١٦٧ .

^{١١٩} — البيت غير موجود في ديوان الفرزدق، غير أن سيبويه نسبه للفرزدق، وكفى بها من نسبة، فلعله من شعر الفرزدق فسقط من المؤرخين، وحفظه سيبويه.

^{١٢٠} — الكتاب ١ / ٢٨ .

وهو إشباع ليس، ومن إشباع الكسرة ومطلها ما جاء عنهم من الصياريف والمطافيل
والجلاعيد^{١٢٢}.

وينسب ابن دريد مطلق الحركة للغة طييء، نظرت إليه أنطور، قال الشاعر^{١٢٣}:

حتى كأنّ الهوى من حيث أنطورُ

أي أنظر.

ومثله ما نقله ابن جني " سأوريكم دارَ الفاسقين " في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ

الْفَاسِقِينَ ﴾^{١٢٤} بمطل الضمة في كلمة سأوريكم^{١٢٥}. ويذكر ابن هشام لغات الياء فيقول: "

فالأكثر حذف الياء والاكتفاء بالكسرة نحو: ﴿ يَعْجَادِ فَأَتَّقُونَ ﴾^{١٢٦}، ثم ثبوتها ساكنة نحو:

^{١٢١} - لسان العرب / ها.

^{١٢٢} - الخصائص ٣ / ١٢٣.

^{١٢٣} - هذا عجز بيت وصدرة: وإنما حيثما يذني الهوى بصري. ولم ينسبه أصحاب الكتب الآتية انظر: خزنة الأدب ٤ / ٣٨٩،
الصاحبي ٢٧، الخصائص ٢ / ٣١٦، وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٦، الإنصاف في مسائل الخلاف " مسألة ٢"، وفي اللسان / الواو،
تاج العروس من جواهر القاموس / نظر. ونسب الزوزني البيت لإبراهيم بن هرمة، انظر: شرح المعلمات السبع ١٣٦، وبعد العودة
لديوان إبراهيم بن هرمة وجدت البيت في القسم الثاني: المختلط من شعره ٢٣٩.

^{١٢٤} - الأعراف ١٤٥.

^{١٢٥} - انظر: المحتسب ١ / ٢٥٨.

^{١٢٦} - الزمر ١٦.

﴿يَعْبَادِ لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ، أو مفتوحة نحو: ﴿قُلْ يَعْبَادِي﴾^{١٢٧} ،

أو قلبُ الكسرة فتحةً والياء ألفاً نحو: ﴿بِحَسْرَتِي﴾^{١٢٨} ، وأجاز الأخفشُ حذفَ الألفِ والاجتزاء بالفتحة " ١٢٩ .

وبالتأمل في قراءة يعقوب نجد مطل الكسرة القصيرة لتصير طويلة { ياء } قد وقع كثيرا في قراءته في رؤوس الآي، أما قراءة أبي جعفر فحصل مطل الكسرة في ثلاثة مواضع لا غير، وقد أشرنا لها وبيننا الوجه البلاغي في ذلك، ومطل الحركة القصيرة لتصير طويلة لغة من لغات العرب وهي لغة أزد السراة، كما نقلنا ذلك عن سيبويه ابن دريد والعكبري وأحمد الجندي، ووردت في الشعر كما في كلمة " انظور " التي تم الحديث عنها في الشاهد الشعري، وكثر في النثر كالقراءات القرآنية، وكلام العرب، وليست من باب الضرورة، وكفاها صحة أنها وردت في خير كلام صحيح متواتر .

١٢٧ - الزمر ٥٣ .

١٢٨ - الزمر ٥٦ .

١٢٩ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ٣٦ .

المطلب الثاني: اجزاء الحركات الطويلة [تقصير الحركة الطويلة]

اعلم أنّ العربية تجتزئ الحركات الطويلة [الألف، والواو، والياء]؛ لتصير حركة قصيرة من جنسها، فتصير الألف فتحة، والواو ضمة، والياء كسرة، وبقاء الحركات القصيرة دليل على وجود الطويلة في الأصل قبل أن تقصر، وفي الوقف لا أثر لها.

وبالاجتزاء قرأ صاحبنا أبو جعفر منفردا من بين القراء في ثلاثة مواضع، فقرأ فاكهون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾^{١٣٠}. وفاكهين في موضعين في قوله تعالى:

﴿وَعَمَّ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿فَكَاهِينَ يَمَّا ءَانَتْهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^{١٣١} فقرأهن أبو جعفر بغير ألف بعد الفاء^{١٣٢}.

وهما لغتان بمعنى واحد مثل: فرهين و فارهين، وحذرين، وحاذرين، وفكهين وفاكهين^{١٣٣}. ويقول الفراء: " قد قرئ: " فكهين " وكلّ صواب مثل: طمع وطامع " ^{١٣٤}. ويقول السمين الحلبي: قرئت " فكهون " و " فكهين " بالقصر^{١٣٥}.

^{١٣٠} - يس ٥٥.

^{١٣١} - والدخان ٢٧، والطور ١٨.

^{١٣٢} - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٥٤.

^{١٣٣} - انظر: الكشف والبيان ١ / ١١٤.

^{١٣٤} - انظر: معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٤٩.

^{١٣٥} - انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكون ٩ / ٢٧٧، اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٢٤٤.

وبالاجتزاء قرأ يعقوب فصاله في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا

وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْرِعْنِي أَنْ

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٦﴾ بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف [فصله] ١٣٧. وفصل

وفصال لغتان، يقول ابن منظور: "وفصلت المرأة ولدها أي: فطمته، وفصل المولود عن الرضاع يفصله فصلاً وفصالاً" ١٣٨.

ويقول أبو حيان: "والفصل والفصال مصدران، كالفطم والفطام" ١٣٩. ويقرر أبو البركات الأنباري الاجتزاء في أثناء تعليقه على شاهد نحوي لسان بن الفحل ١٤٠ يقول فيه:

فإن الماء ماء أبي وجدي وبئري نو حفرتُ وذو طويتُ

أراد الذي حفرت والذي طويت، فلما ركبتا حذف الواو من نو اجتزاء بالضممة عنها؛ لأنهم يجتزئون بالضممة عن الواو، وبالكسرة عن الياء، وبالفتحة عن الألف ١٤١. لكن الناظر في "نو" لا يجد فيها أي حذف فهي مبنية، وهي بمعنى التي، وشاهدنا في كلام أبي البركات هو اجتزأؤهم بالضممة عن الواو، وبالكسرة عن الياء، وبالفتحة عن الألف.

وقال الشاعر:

١٣٦ - الأحقاف ١٥.

١٣٧ - المبسوط في القراءات العشر ١ / ٤٠٥، النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٧٣.

١٣٨ - لسان العرب / مادة فصل.

١٣٩ - تفسير البحر المحيط ٨ / ٦١، اللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٣٩٤.

١٤٠ - انظر: ديوان الحماسة ١ / ٢٣١، الإنصاف ١ / ٣٨٥، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١ / ١٥٤.

١٤١ - انظر: الإنصاف ١ / ٣٨٥.

فلو أنّ الأطباءَ كانوا فحذف الواو اجتزاء بالضمّة
وكانَ مع الأطباءِ الشفاهُ^{١٤٢}.

وقال الشاعر الأعشى ميمون بن قيس:

وأخو الغوان متى يشأ يصرمته
ويعدن أعداء بعيد ودا
أراد الغواني فاجتزأ، بالكسرة عن الياء^{١٤٣}.

والرواية الصحيحة ما جاءت في ديوانه^{١٤٤} وهي:

وأخو النساء متى يشأ يصرمته
ويكن أعداء بعيد ودا

وأشار أبو البركات إلى أنّ الاجتزاء إنّما يتم في حالة الضرورة الشعرية، غير أنّ هذا الكلام ليس صحيحاً؛ لأنّ الاجتزاء موجود في العربية، وإلى جواز ذلك دون ضرورة أشار الفراء في

قوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْعُ ﴾^{١٤٥} كتبت بحذف الياء فالوجه فيها أنّ تثبت الياء إذا وصلت

وتحذفها إذا وقفت، والوجه الآخر أنّ تحذفها في القطع والوصل، قرأ بذلك حمزة، وهو جائز^{١٤٦}.

ويقول الزمخشري: " قرئ يوم يأت بغير ياء، ونحوه قولهم: لا أدر، حكاه الخليل وسيبويه، وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل " ^{١٤٧}.

وأما أسباب الاجتزاء فله سببان وهما :

^{١٤٢} — انظر: السابق ١ / ٣٨٥.

^{١٤٣} — انظر: الإنصاف ١ / ٣٨٥.

^{١٤٤} — الصبح المنير في شعر أبي بصير ٩٨.

^{١٤٥} — الكهف ٦٤.

^{١٤٦} — انظر: معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٧.

^{١٤٧} — الكشف ٣ / ٢٣٦.

الأول: مشابهة رؤوس الآي التي قبلها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾^{١٤٨} فقال ابن

خالويه: خزلوا الياء، لأنها تشبه رؤوس الآي التي قبلها^{١٤٩}.

الثاني: للاختصار ففي حديث ابن خالويه عن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ

وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾^{١٥٠}، قال: والأصل أكرمني فحذفوا الياء اختصاراً^{١٥١}.

ويقرر أبو البقاء العكبري قاعدة الاختصار والسهولة والتيسير؛ لأن الاجتزاء يتم لكثرة الاستعمال كقولك: ابن أمّ، فحذف الألف لطول الكلام اجتزاء بالفتحة^{١٥٢}.

ويتبين لنا مما سبق أنّ صاحبينا قد قرأ باجتزاء الحركات الطويلة منفردين بذلك عن بقية القراء، وقراءتهما بالاجتزاء لغة من لغات العرب التي تميل للاختصار والحذف، والاجتزاء في العربية لغة هزيل وله شواهد شعرية ونثرية، ولا ينبغي حمله على الضرورة؛ لكثرتة في القرآن وفي الشعر الصحيح.

والمأمل في كتب البلاغة يجد أنّ حذف الحرف أو اجتزاء الحركات الطويلة لا يكون هملاً، وإنما يكون لبعد بلاغي، وكتب البلاغة التي عنيت بالقرآن، تنبض بالوجه البلاغية التي تبين سبب حذف الحرف وزيادته في كل موضع، وبعد البحث فيها وجدت أنّ الدكتور فاضل السامرائي

^{١٤٨} - الفجر ٤.

^{١٤٩} - انظر: إعراب ثلاثين سورة ٧٤.

^{١٥٠} - الفجر ١٥.

^{١٥١} - انظر: إعراب ثلاثين سورة ٨٠.

^{١٥٢} - انظر: الباب في علل البناء والإعراب ١ / ٣٤١.

يعد الحذف سببا من أسباب تخفيف معنى الكلمة من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا

بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾^{١٥٣} فالسبب في تخفيف النون من

كان، هو أنّ الآية نزلت في تمثيل المشركين بالمسلمين يوم أحد، فكان الأمر ثقيلًا على النبي — صلى الله عليه وسلم — ، فكانت الآيات تطيبها وتخفيفا لهذا الحدث، فلذلك خفف الفعل إشارة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس^{١٥٤}. ففي قراءة أبي جعفر في اجتزاء الألف من " فاكهين " و " فاكهون " حاصل؛ لأنّ المسلم لا يشعر بالراحة وزوال الحمل عن كاهله قبل أن يضع قدمه في الجنة، ويتلذذ بنعيمها، يقول محمد بن حسويه: حضرت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وجاءه رجل من أهل خراسان فقال: يا أبا عبد الله قصدتك من خراسان أسألك عن مسألة قال له سل: قال: متى يجد العبد طعم الراحة قال: عند أول قدم يضعها في الجنة^{١٥٥}. وقراءة يعقوب بحذف الألف؛ لأنّ الأم عندما تظلم رضيعها تشعر بالراحة وزوال جزء من المسؤولية .

^{١٥٣} — النحل ١٢٧.

^{١٥٤} — انظر: التعبير القرآني ٧٧.

^{١٥٥} — طبقات الحنابلة ١ / ٢٩١.

المطلب الثالث: حذف الحركة

كثر في كلام العرب حذف الحركة للتخفيف، ولا سيما إذا توالى ثلاث حركات، ووقع حذف الحركة للتخفيف كثيرا في القراءات القرآنية المتواترة^{١٥٦}، ووقع حذفها عند علماء اللغة من كما في قراءة أبي عمرو ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ يَأْتِيكُمْ الْعَجَلُ فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَأَنْفُسُكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ بَارِكُمْ بِإِسْكَانِ الْحَرَكَةِ.

ويقول الفراء في تسكين هاء يؤده من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^{١٥٨}: "إن من العرب من يجزم الهاء إذا تحرك ما قبلها، فيقول: ضربته ضربا شديدا" ^{١٥٩}.

^{١٥٦} — انظر: اللهجات العربية ٢ / ٥١٥.

^{١٥٧} — البقرة ٥٤.

^{١٥٨} — آل عمران ٧٥.

^{١٥٩} — معاني القرآن للفراء ١ / ٢٢٣.

ويقول ابن جنى في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾^{١٦٠}: "وأما ابنه، بجزم الهاء فعلى اللغة التي ذكرناها لأزد السّراة"^{١٦١}. ويقول ابن عطية: "وقرأ ابن عباس ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ ابنه بسكون الهاء، وهذا على لغة لأزد"^{١٦٢}.

وسبب الحذف هو التخفيف، وقد قرئ ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ بتسكين لام ملك^{١٦٣}، وهي قراءة أبي هريرة وعاصم الجدي ورواها الجعفي^{١٦٤}. كان أبو عمرو يختلس الهمزة إلى الجزم في قوله: بارئكم، ويأمركم، وينصركم، طلباً للخفة^{١٦٥}. وقد يقال: سبب الحذف هو قرب العبد من الله، ولا يكون في هذا الموقف فصل. وجعله سيوييه ضرورة شعرية حيث قال: "قد يسكن بعضهم في الشعر ويشم، وذلك قول الشاعر امرئ القيس^{١٦٦}:

فاليومَ أشربَ غيرَ مُستَحَبِّ
إثمًا من الله ولا واغلي^{١٦٧}.

ولقد غلط المبردُ أبا عمرو، فقال: لا يجوزُ التسكينُ مع توالي الحركات في حرف الإعراب في كلام ولا شعر، وقراءةُ أبي عمروٍ لحنٌ^{١٦٨}. ويرد السمين الحلبي قائلاً: "وهذه جرأة من المبردُ

^{١٦٠} - هود ٤٢.

^{١٦١} - المحتسب ٢ / ٣٢٣.

^{١٦٢} - المحرر الوجيز ٣ / ١٨٨.

^{١٦٣} - انظر: إعراب ثلاثين سورة ١ / ٢٣.

^{١٦٤} - انظر: تفسير البحر المحيط ١ / ١٣٣.

^{١٦٥} - الكشف والبيان ١ / ١٩٨.

^{١٦٦} - ديوان امرئ القيس ١٤١.

^{١٦٧} - الكتاب ٤ / ٢٠٤.

وَجَهْلٌ بِأَشْعَارِ الْعَرَبِ، فَإِنَّ السُّكُونَ فِي حَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ قَدْ وَرَدَ فِي الشُّعْرِ كَثِيرًا، وَمِنْهُ قَوْلُ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ:

الْيَوْمَ أَشْرَبْتُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ

فَسَكَّنَ أَشْرَبْتُ.

وَقَالَ جَرِيرٌ:

وَنَهْرٌ تَبْرِيءٌ فَمَا تَعْرِفُكُمْ الْعَرَبُ " ١٦٩.

ويقول أبو حيان: منع المبرد التسكين في حركة الإعراب، وزعم أن قراءة أبي عمرو لحن، وما ذهب إليه ليس بشيء؛ لأنَّ أبا عمرو لم يقرأ إلا بأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — ولغة العرب توافقه على ذلك، فإنكار المبرد لذلك منكر ١٧٠.

ويقول الشنقيطي: ما زعمه بعض علماء العربية من أنَّ حركة الإعراب لا يجوزُ تسكينها، فهو غلطٌ، ولا شكُّ أنَّها لغةٌ صحيحةٌ، وقراءةٌ ثابتةٌ عن أبي عمرو، وتخفيفُ الحركةِ بالإسكان لغةٌ تميمٌ وبني أسدٍ ١٧١.

أما قراءتنا الثلاثة فقد انفرد أبو جعفر في تسكين عين اثنا عشر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ

الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ

حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا

١٦٨ — انظر: الدر المصون ١ / ٣٦٢، اللباب في علوم الكتاب ٢ / ٨٠. وبعد البحث في كتاب المبرد المقتضب لم أجد طعنا من المبرد على هذه القراءة، ولا توجيهها، أو تعليقًا.

١٦٩ — الدر المصون ١ / ٣٦٣. ورواية الديوان: ونهرُ تيرى فلم تَعْرِفُكُمْ الْعَرَبُ " ١٦٩. بجزم تعرفكم بلم، فلا دليل في هذا البيت.

١٧٠ — انظر: تفسير البحر المحيط ١ / ٣٦٥.

١٧١ — انظر: العذب النمبر من مجالس الشنقيطي في التفسير ١ / ٩٤.

يَقْنِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ ﴿١٧٢﴾ وَلَا بَدَّ مِنْ مَدِّ أَلْفٍ {اثنان} للسَّاكنين ، وأحد عشر

في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَاجِدِينَ ﴿١٧٣﴾ ، وتسعة عشر في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿١٧٤﴾. فهذه ثلاثة مواضع انفرد

بها أبو جعفر بتسكين العين ١٧٥.

ويقول أبو حيان: " هذه لغة في الأعداد، لكرهة توالي الحركات " ١٧٦.

والتعليل بتوالي الحركات كثير عند العلماء من ذلك قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ

السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿١٧٧﴾ فالهمز في السَّيِّئِ مخفوضة، وقد جزمها الأعمش

وحمزة؛ لكثرة الحركات ١٧٨. ويقول السمين الحلبي: " والإسكانُ بعد المتحرك لغة ثابتة عن بني

عُقَيْلٍ وبني كلاب " ١٧٩. وينسبها أحمد الجندي لأعراب عُقَيْلٍ وكناب ١٨٠.

١٧٢ - التوبة ٣٦.

١٧٣ - يوسف ٤

١٧٤ - المدثر ٣٠.

١٧٥ - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٠٣.

١٧٦ - تفسير البحر المحيط ٨ / ٣٦٨.

١٧٧ - فاطر ٤٣.

١٧٨ - انظر: معاني القرآن للفراء ١ / ٨٠.

١٧٩ - الدر المصون ٣ / ٤٢٠، اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٧٩.

١٨٠ - انظر: اللهجات العربية ٢ / ٥١٨.

ويوجه الزمخشري هذه القراءة قائلاً: " والأصل في العدد المنيف على العشرة أن يعطف الثاني على الأول، فيقال ثلاثة وعشرة، فمزج الاسمان وصيرا واحداً، وبنياً لوجود العلتين، ومن العرب من يسكن العين فيقول: أحد عشر، احتراساً من توالي الحركات في كلمة " ^{١٨١} .

فتسكين حركة الإعراب متواتر في اللغة العربية في شعرها ونثرها كما مضى، لا يمكن إنكاره أو تضعيفه، لأنه وارد في خير كلام، وفي الشعر الصحيح، وهو لغة لأزد السراة كما صرح الزمخشري وابن عطية، وتسكين العين في أحد عشر واثنان عشر وتسعة عشر لغة من لغات العرب، وهو لغة ثابتة عن العرب لبني عقيل وبني كلاب كما نقل ذلك السمين الحلبي وأحمد الجندي، والسبب في التسكين هو كثرة الحركات التي تحتاج لجهد في النطق، وبعض العرب يميل نحو السهولة والتيسير في النطق؛ فلذلك سکنوا حركة العين.

^{١٨١} – المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٢٢٠.

المطلب الرابع: اختلاس الحركة

الاختلاسُ: هو الإسراع بالحركة حال النطق بها فيختطفها اختطافاً، فلا يحقق النطق بها كاملاً، وعكسه الإشباعُ " ١٨٢ .

ويبين سيبويه كيفية نطق الاختلاس قائلًا: " وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا، وذلك قولك يضربها، ومن مأمّنك يسرعون اللفظ " ١٨٣ .

فإذا كان الحرف المراد اختلاسه في أول الكلمة لم يجز اختلاس حركته أيضا، نحو: " وقهّمُ السيئاتِ " ١٨٤ ؛ لأنّ الاختلاس يقرب من الساكن ١٨٥ .

وتكون الحركة أقصر زمنا، وتفقد عنصر الجهر، بسبب إضعاف الصوت بها مثلما يحصل في حالة الإسرار أو الوشوشة ١٨٦ ، ويفرق القراء بين الروم والاختلاس، وهما أمر واحد عند النحويين ١٨٧ . فالروم حدد بمعنى اختلاس الحركة ١٨٨ .

والراجح أنّ كلام القراء في التفريق بين الروم والاختلاس أدق من كلام اللغويين؛ لأنّ الروم يشارك الاختلاس في تبعيض الحركة، ويخالفه في أنّه لا يكون في حالة البناء بالفتح ولا في الإعراب بالنصب ويكون في الوقف فقط، والثابت فيه من الحركة أقلّ من الذاهب، والاختلاس يكون في كل الحركات كما في أرنا من قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً

١٨٢ - أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجا ٧٧ .

١٨٣ - الكتاب ٤ / ٢٠٢ .

١٨٤ - غافر ٩ .

١٨٥ - الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ١٩٩ .

١٨٦ - السابق ٣٧٠ .

١٨٧ - السابق ٣٧٤ .

١٨٨ - السابق ٣٧٤ .

مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٨٩﴾ ، وَأَمَّنْ لَا يَهْدِي مِنْ قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿١٩٠﴾ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ ﴿١٩٠﴾ ، وَيَأْمُرُكُمْ فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿١٩١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَجِدْنَا حُرُورًا قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ

أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩١﴾ ، وَلَا يَخْتَصُّ بِالْوَقْفِ ، وَالثَّابِتُ مِنَ الْحَرَكَةِ فِيهِ أَكْثَرُ مِنَ الذَّاهِبِ ،

وَقَدْرُهُ الْأَهْوَازِي بِثَلَاثِي الْحَرَكَةِ وَلَا يَضْبُطُهُ إِلَّا الْمَشَافَهَةُ ١٩٢ .

أَمَّا الْاِخْتِلَاسُ عِنْدَ قَرَائِنَا الثَّلَاثِ ، فَاَنْفَرِدُ رُوَيْسٍ عَنِ يَعْقُوبَ بِاِخْتِلَاسِ كَسْرَةِ الْهَاءِ فِي كَلِمَةِ بِيَدِهِ

فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعٍ وَهِيَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ

فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٩٣﴾ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٩٣﴾ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿١٩٤﴾ فَلَمَّا فَصَلَ

طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ

١٨٩ - البقرة ١٢٨ .

١٩٠ - يونس ٣٥ .

١٩١ - البقرة ٦٧ .

١٩٢ - إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٣٥ .

١٩٣ - البقرة ٢٣٧ .

مَنِّي إِلَّا مَنْ أَعْتَرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ^{١٩٤} ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ

يُخَيِّرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ^{١٩٥} ، وقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْنَا الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ

شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ^{١٩٦} ، وقرأ الباقون بالإشباع فيها^{١٩٧} .

واختلاس الضمة والكسرة بعد المتحرك لغة حكاها الكسائي عن بني عَقِيل وبني كلاب، كقوله

تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۚ^{١٩٨} ، ولربه لكنود بغير تمام، وله مال، وله مال، وغير بني

كلاب وبني عقيل لا يوجد في كلامهم اختلاس^{١٩٩} .

فقراءة الاختلاس ليعقوب منفردا بها عن غيره، لغة لقبيلتين عربيتين هما بنو كلاب وبنو عَقِيل،
وجاءت قراءة يعقوب على هذه اللغة.

^{١٩٤} — البقرة ٢٤٩ .

^{١٩٥} — المؤمنین ٨٨ .

^{١٩٦} — یس ٨٣ .

^{١٩٧} — إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٥٣ .

^{١٩٨} — العاديات ٦ .

^{١٩٩} — انظر: تفسير البحر المحيط ٣ / ٧٧ .

المطلب الخامس: الحركة الطويلة الممتولة

تعرف الحركات الطويلة عند القدماء بحروف المد واللين، وكانت العرب تطيل زمن النطق بها بحسب الحروف التي تليها.

والمد: إطالة الصوت بحرف المد أو اللين عند وجود السبب^{٢٠٠}.

ولقد عرفت المدود عند علماء القراءات والتجويد، ولأهميتها في قراءة القرآن الكريم وقراءاته، قاموا بتفصيلها، يقول سليمان الجمزوري: "

لِلْمَدِّ أَحْكَامٌ ثَلَاثَةٌ تَدُومُ... وَهِيَ الْوَجُوبُ وَالْجَوَازُ وَاللُّزُومُ
فَوَاجِبٌ إِنْ جَاءَ هَمْزٌ بَعْدَ مَدٍّ... فِي كَلِمَةٍ وَذَا بِمُتَّصِلٍ يُعَدُّ
وَجَائِزٌ مَدٌّ وَقَصْرٌ إِنْ فَصِلَ... كُلُّ بِكَلِمَةٍ وَهَذَا الْمُتَّفَصِّلُ
وَمِثْلُ ذَا إِنْ عَرَضَ السُّكُونُ... وَفَقَا كَتَعَلَّمُونَ نَسْتَعِينُ
أَوْ قَدَّمَ الْهَمْزُ عَلَى الْمَدِّ وَذَا... بَدَلُ كَأَمَنُوا وَإِيمَانًا خُذَا
وَلَازِمٌ إِنْ السُّكُونُ أَصْلًا... وَصَلًا وَوَقْفًا بَعْدَ مَدٍّ طَوَّلًا " ^{٢٠١}.

أما المد في الحركات الطويلة عند قرائنا الثلاثة، فانفرد يعقوب من رواية رويس بتشديد التاء في

اللات في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ ويمد للساكنين، وهي قراءة ابن عباس ومجاهد

ومنصور بن المعتمر وطلحة وأبي الجوزاء^{٢٠٢}.

^{٢٠٠} - غاية المرید فی علم التجويد ١ / ٩١.

^{٢٠١} - السابق ١ / ١٢١.

^{٢٠٢} - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٧٩.

وتفرد أبو جعفر بقراءة اثنا عشر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا

فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾^{٢٠٣} بإسكان العين، ولا بدَّ

من مد ألف اثنا للساكنين، وكره ذلك بعضهم من حيث الجمع بين ساكنين على غير حدهما، وفي النشر أنه فصيح مسموع من العرب^{٢٠٤}.

ومطل الحركات الطويلة تعرفه العربية وتميزه بما بعده، وبوب ابن جني في الخصائص باب سماه مَطْلَ الحروف، ويقصد بالحروف الحركات الممتولة حيث قال: " والحروف الممتولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة، وهي الألف والياء والواو. اعلم أن هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت ففيها امتداد ولين، نحو: قام، وسير به، وحوت، وكوز، وكتاب، وسعيد، وعجوز، إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها وتتمكن مدتها ثلاثة، أن تقع قبل الهمزة أو الحرف المشدّد أو أن يوقف عليها عند التذكّر " ^{٢٠٥}.

فمطل الحركة الطويلة كثير في القرآن، وقعد له علماء التجويد في كتبهم، وجعلوا له باباً مستقلاً سموه بباب المدود، ونقله ابن جني عن العرب في الخصائص، وبذلك انفرد أبو جعفر ويعقوب في الوطنيين الماضيين عن بقية القراء.

^{٢٠٣} - التوبة ٣٦.

^{٢٠٤} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٠٣.

^{٢٠٥} - الخصائص ٢ / ١٢٥.

المبحث الثالث: التوافق الحركي: { الإتياع }

يسمى التوافق الحركي بالمماثلة، وإطلاق المماثلة شامل في نظرة المحدثين لكل تأثير يحدث بين صوتين متجاورين، فيقارب بينهما مهما يكن مبلغه، وهذه المماثلة متأثرة في الموقعية، وهي أقوى الصفات المؤثرة في المماثلة^{٢٠٦}.

والمتتبع لتقسيمات المحدثين لظاهرة المماثلة، يجدها لا تخرج عن قسمين ، وذلك بحسب كونها من الأمام للخلف، أو من الخلف للأمام، والمماثلة الرجعية هي الأكثر شيوعاً من الأخرى^{٢٠٧}.

أما نظرة القدماء للإتياع فهو: تقريب صوت من آخر يجاوره؛ ليعمل اللسان عملاً واحداً^{٢٠٨}.

ويحدث الإتياع في مناطق توافق الحركات وانسجامها، إذ يناط به فضيلة المحافظة على هذا الانسجام الصوتي. ونظراً لأنّ جهازنا الصوتي يمتلك إمكانية محددة في نطق الكلمات مع الصوامت والصوائت والتنقل بينها فقد وُجدت صوامت وصوائت يثقل الانتقال بينها كان لا بدّ من حدوث تغيير فيها؛ لتتسجم مع بعضها بسهولة وببسر دون أي عسر في نطقها، ويختلف اليسر والسهولة باختلاف القبائل العربية، فما تجده صعباً عند قبيلة قد تجده سهلاً عند غيرها، والعكس صحيح.

وقد تنبه اللغويون القدماء لهذه الظاهرة فأوردوها في كتبهم، واختلفت مصطلحاتهم المطلقة عليها، فما هو سيبويه يسميها بالمضارعة^{٢٠٩}، وسماها ابن جني تقريب الصوت من الصوت

^{٢٠٦} – انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٥.

^{٢٠٧} – انظر: السابق ٢٣١ – ٢٣٢.

^{٢٠٨} – انظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً ٤٠.

^{٢٠٩} – انظر: الكتاب ٤ / ٤٧٧.

وقال: وسمعت الشجريّ غير مرّة يقول: زئير الأسد يريد الزئير. وحكى أبو زيد عنهم: الجنّة لمن خاف وعيد الله - بكسر الواو والعين -، ومنه الفرُقُصَاء والسُلطان وهو مُنحَدِر من الجَبَل^{٢١٠}. يقول أحمد الجندي: سماها ابن جني في كتابه المنصف بالتجنيس، وكان بارعا في خلق هذا الاسم^{٢١١}. وعبرت كتب الاحتجاج للقراءات عن هذا القانون بالتقريب، والمجانسة، والتناسب، والموافقة، والتشاكل، والملاءمة، والتشابه: في الصوامت والصوائت عامة، وبالإتباع في الصوائت خاصة^{٢١٢}.

والمماثلة الصوتية مظهر من مظاهر التخفيف والتسهيل في الكلام، اتسمت به بعض القبائل العربية^{٢١٣}، فاللغة دائما تميل إلى السهولة في النطق وتوفير الجهد، وقد بدا ذلك واضحا في ميلها إلى المماثلة في الصوائت القصيرة^{٢١٤}.

وبالنظر إلى ظاهرة المماثلة في الصوائت القصيرة نجد أبا جعفر قد انفرد في ظاهرة المماثلة بنوعها عن بقية القراء. فبالمماثلة الرجعية انفرد في خمسة مواطن مكررة من قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^{٢١٥}،

فأبو جعفر من رواية ابن جمار ومن غير طريق هبة الله وغيره عن ابن وردان بضم التاء حالة الوصل إتباعا لضم الجيم، ولم يعتد بالساكن فاصلا^{٢١٦}. ورويت هذه القراءة من طرق أحاد، فقرأ

^{٢١٠} - انظر: الخصائص ٢ / ١٤٣.

^{٢١١} - انظر: اللهجات العربية ١ / ٢٦٧.

^{٢١٢} - انظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً ٤٠ - ٤١.

^{٢١٣} - انظر: السابق ٤٤.

^{٢١٤} - انظر: السابق ٧٩.

^{٢١٥} - البقرة الآية ٣٤ وهو في خمسة مواضع هنا والأعراف الآية ١١ والإسراء الآية ٦١ والكهف الآية ٥٠ وطه الآية ١١٦.

^{٢١٦} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٧٥.

بها غير أبي جعفر من السلف، ورويت عن قتيبة عن الكسائي من طريق أبي خالد، وقرأ بها أيضاً الأعمش، وإذا ثبت مثله في لغة العرب فكيف ينكر؟^{٢١٧}.

وقد خطأ اللغويون أبا جعفر ولحنوا قراءته منهم: أبو إسحاق النيسابوري حيث قال في قراءة أبي جعفر: "هي قراءة ضعيفة جداً، وأجمع النحاة على تغليطه فيها"^{٢١٨}، وهذا ادعاء بالإجماع.

يقول ابن جني: "هذا ضعيف عندنا جداً؛ ذلك أن الملائكة في موضع جر، فالتاء إذا مكسورة، ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من "اسجدوا" لسقوط الهمزة أصلاً إذا كانت وصلاً"^{٢١٩}.

ويشنع السمين الحلبي على هذه الرواية وعلى قارئها حيث قال: "المشهور جرُّ تاء الملائكة بالحرف، وقرأ أبو جعفر بالضمّ إتباعاً لضمة الجيم، ولم يعتدّ بالساكن، وغلّطه الزجاج، وخطأه

الفارسي، وشبّهه بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ آخْرُجْ عَلَيْنَّ﴾^{٢٢٠} بضم تاء التانيث، وليس

بصحيح؛ لأنّ تلك حركة التقاء الساكنين وهذه حركة إعراب فلا يُتْلَعَبُ بها، والمقصودُ هناك يحصلُ بأيّ حركةٍ كانت، يعني بكسر الدال، قلتُ [السمين الحلبي]: وهذا أكثرُ شذوذاً، وأضعفُ من ذلك مع ما في ذلك من الضعفِ المتقدّم؛ لأنّ هناك فاصلاً وإن كان ساكناً، وقال أبو البقاء: وهي قراءة ضعيفة جداً، وأحسنُ ما تُحمَلُ عليه أن يكون الراوي لم يَضِطُّ عن القارئ"^{٢٢١}.

ويزيد السمين من هجمته على هذا الوجه من قراءة أبي جعفر في قوله: "وهذه حركة إعراب فلا يُتْلَعَبُ بها"^{٢٢٢}، كأنّ أبا جعفر وراويه قد تلاعبوا بهذه الآية، فأقول: أين أنت من قولك:

^{٢١٧} - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٢١٠ - ٢١١.

^{٢١٨} - الكشف والبيان ١ / ١٨١.

^{٢١٩} - المحتسب ١ / ٧١.

^{٢٢٠} - يوسف: ٣١.

^{٢٢١} - الدر المصون ١ / ٢٧١ - ٢٧٢.

^{٢٢٢} - السابق ١ / ٢٧١ - ٢٧٢.

"القراءةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ؟" ٢٢٣ ، وتوجيه القراءات لا تأتي على ما علمه البصريون والكوفيون ونقلوه فحسب، بل إن الواجب عليهم أن يجعلوا القراءات المتواترة متبوعة لا تابعة.

أما الزمخشري فيقول: " لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتياع إلا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله يعني بكسر الدال " ٢٢٤ .

ويرد أبو حيان الأندلسي على من طعن في هذه القراءة قائلا: "وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع وسليمان بن مهران: بضم التاء، إتياعا لحركة الجيم، ونقل أنها لغة أزد شنوءة، فلا ينبغي أن يخطأ القارئ بها ولا يغلط، والقارئ بها أبو جعفر أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضاً عن عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة، وهو شيخ نافع بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة " ٢٢٥ .

ويعلل ابن الجزري هذه القراءة، أنه نوى الوقف على التاء فسكنها ثم حركها بالضم إتياعا لضمة الجيم، وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف ٢٢٦ .

فقراءة أبي جعفر جاءت على لغة أزد شنوءة، وهي — كما ذكر ابن جني — من باب إجراء الوصل مجرى الوقف، فنوى الوقف على التاء فسكنها ثم حركها بالضم إتياعا لضمة الجيم، وهذا من المماثلة المدبرة فالصوت الأول متأثر بالثاني.

والناظر في العربية يجد أمثلة تعزز ذلك، يقول ابن خالويه في قراءة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ ٢٢٧ : قرأ الحسن ورؤية " الحمد لله " بكسر الدال فأتبع الكسر الكسر، وذلك أن

٢٢٣ - الدر المصون ٣ / ٣٥٠ .

٢٢٤ - الكشاف ١ / ٢٥٤ .

٢٢٥ - تفسير البحر المحيط ١ / ٣٠٢ .

٢٢٦ - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٢١٠ .

٢٢٧ - الفاتحة ١ .

الدال مضمومة وبعدها لام الإضافة مكسورة، فكهوا أن يخرجوا من ضم إلى كسر فأتبعوا الكسر الكسر، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة " الحمد لله " بضم اللام أتبع الضم كما أتبع أولئك الكسر الكسر ٢٢٨ .

ويوجه الفراء هذه القراءة قائلاً: " وأما من خفض الدال من "الحمد" فهذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فتقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إيل، فكسروا الدال؛ ليكون على المثال من أسمائهم " ٢٢٩ . ومن المماثلة المقابلة قرأ أبو جعفر اليُسْر والعُسْر في

قوله تعالى: ﴿ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ٢٣٠ وعُسْرًا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا

تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ ٢٣١ ، وذو عُسْرَة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ

ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٢٣٢ ونحوه بضم

السين ٢٣٣ . يقول السمين الحلبي: قرأ أبو جعفر: اليُسْر والعُسْر بضم السين، واختلف النحاة: هل الضمُّ أصلٌ والسكون تخفيفٌ، أو الأصلُ السكونُ والضمُّ للإتباع؟ والأولُ أظهرٌ؛ لأنه المعهودُ في كلامهم ٢٣٤ . غير أن المعهود أن الأصل السكون وضمت تلك الصوامت للإتباع. وقرأ أبو جعفر

٢٢٨ - انظر: إعراب ثلاثين سورة ١٨ - ١٩ .

٢٢٩ - معاني القرآن للفراء ١ / ٣ .

٢٣٠ - البقرة ١٨٥ .

٢٣١ - الكهف ٧٣ .

٢٣٢ - البقرة ٢٨٠ .

٢٣٣ - انظر: الشمعة ٢٦٠ .

٢٣٤ - انظر: الدر المصون ٢ / ٢٨٥، اللباب في علوم الكتاب ٢٣ / ٢٨٨ .

زُلْفَا بضم اللام في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ

السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾^{٢٣٥} ، والضمُّ للإتباع، كما قالوا: بُسْرَةٌ وبُسْرٌ بضم السين إتباعاً

لضمّة الباء^{٢٣٦}.

وخلاصة ما تقدم يتبين لنا أنّ العربية حرصت على مدار تاريخها على توفير الانسجام بين أصواتها في تتابعها والتخلص من كل ما يؤدي إلى تنافر يشق على المتكلم أو يجهده، ويظهر هذا في ما سمّاه القدماء بكَراهة أو استنقال توالي الأضداد، ومنها تتابع الصوائت التي يستعصى نطقها أو يستنقل، فربّما نزع المتكلم إلى التماثل بين الصائتين للتقريب بينهما، فالمتكلم عندما انتقل بين صائتين أولهما الكسرة والآخر الضمة، أو بين الضم والفتح مال إلى التماثل بينهما فضمّتا، لثقل الانتقال من الكسرة إلى الضمة، أو من الضم للسكون أو الفتح، وهذا ما يعرف عند علماء اللغة المحدثين بالمماثلة، وهي إطلاق شامل في نظرة المحدثين لكل تأثير يحدث بين صوتين متجاورين، وهذه المماثلة متأثرة في الموقعية، وهي أقوى الصفات المؤثرة، ولذلك سميت بالمماثلة المدبرة وذلك إذا تأثر الأول بالثاني، وسميت بالمقبلة إذا تأثر الصوت الثاني بالأول وبنوعي المماثلة قرأ أبو جعفر، كأنّ قراءته تمثل بيئته خير تمثيل، فبيئته مدنية تميل إلى السهولة والتيسير، ف جاءت قراءته تميل إلى المماثلة في بعض المواطن التي يصعب الانتقال بين صوتين مختلفين، ولم يقرأ يعقوب بالمماثلة ولو في موطن واحد، فقراءته تمثل بيئة البادية التي امتازت بالجزالة والقوة والنفرة من السهولة، مع أنّ كلتا القراءتين قرئتا بسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا ما تمليه عليه بيئته.

^{٢٣٥} — هود ١١٤

^{٢٣٦} — انظر: الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٦٩. اللباب في علوم الكتاب ٥٩٢.

المبحث الرابع: الهاء

قدّم العرب ملاحظات قيمة في مجال الدراسة الصوتية، يبدو ذلك واضحاً في ما خلفوه من دراسات شملت أصوات العربية كافة، ومن الأصوات التي حظيت بعناية فائقة عند العرب صوت الهاء، الذي ربما يصدر عن الإنسان لا لغرض الكلام فحسب بل بسبب إرهاق أو تعب أو حالة نفسية معينة دون قصد من المتكلم فتجده أحياناً يتأوه، فهو اندفاع غزير للهواء في عملية تنفسية غير طبيعية ينتج عنها سماع صوت الهاء.

وجاء درسنا في الهاء في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الوقف بهاء السكت

المطلب الثاني: حذف هاء السكت

المطلب الثالث: حركة هاء الضمير

المطلب الأول: الوقف بهاء السكت

هي هاء تزداد في آخر الكلمة الموقوف عليها^{٢٣٧}، وحقها أن تكون ساكنة، وتحريكها لحن^{٢٣٨}. وهي لاحقاً لبيان حركة أو حرف نحو ماهية وها هنا، وأصلها أن يُوقفَ عليها، وربّما وصّلتُ بنية الوقف^{٢٣٩}. يقول الزمخشري: " هاء السكت للوقف: وهي التي في نحو قوله تعالى: ﴿مَّا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾"^{٢٤٠}، وهي مختصة بحال الوقف، فإذا أدرجت قلت: مالي هلك عني سلطاني خذوه، وكل متحرك ليست حركته إعرابية يجوز عليه الوقف بالهاء نحو: ثمّ وليته وكيفه وأثّه وحيله وما أشبه ذلك "^{٢٤١}.

وجاءت هاء السكت عند يعقوب منفرداً بذلك عن بقية القراء في خمسة أنواع، منها ما لا خلف فيه، ومنه ما جاء عنه بخلف:
أولها: السكت على جمع المذكر السالم من غير خلاف عنه. وينقل ابن الجزري قائلاً: " النون المفتوحة نحو: العالمين، والذين، والمفلحون، وبمؤمنين، فروى بعضهم عن يعقوب الوقف على ذلك كله بالهاء، وحكاه أبو طاهر بن سوار وغيره، ورواه ابن مهران عن رويس، وهو لغة فاشية

^{٢٣٧} - انظر: شرح الرضي على الكافية ٤ / ٤٩٨.

^{٢٣٨} - انظر: المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٤٦١.

^{٢٣٩} - انظر: تاج العروس من جواهر القاموس ٤٠ / ٥٣٠.

^{٢٤٠} - الحاقّة ٢٨ .

^{٢٤١} - المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٤٦١.

مطرده عند العرب " ٢٤٢ .

وينقل سيبويه السكت عن العرب على هذا النوع وما جرى مجراه حيث قال: " هذا باب ما تلحقه الهاء؛ لتبين الحركة من غير ما ذكرنا من بنات الياء والواو التي حذف أواخرها، ولكنها تبين حركة أواخر الحروف التي لم يذهب بعدها شيء، فمن ذلك النونات التي ليست بحروف إعراب ولكنها نون الاثني والجميع، وكان هذا أجدر أن تبين حركته حيث كان من كلامهم أن يبيّنوا حركة ما كان قبله متحركاً مما لم يحذف من آخره شيء؛ لأن ما قبله مسكن فكهوا أن يسكن ما قبله وذلك إخلالاً به، من ذلك هما ضاربانته، وهم مسلمونه، وهم قائلونه " ٢٤٣ .

ثانيها: النون المشددة من جمع الإناث سواء اتصل به شيء بخلف عنه، أو لم يتصل به في حالة الوقف عند يعقوب في جميع المواضع في القرآن الكريم.

يتابع ابن الجزري كلامه قائلاً: " النون المشددة من جمع الإناث سواء اتصل به شيء، أو لم

يتصل نحو هُنَّ في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ

يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ ٢٤٤ ،

ولهنَّ في قوله تعالى: ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٢٤٥ ،

٢٤٢ - النشر في القراءات العشر ٢ / ١٣٦، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١ / ٢٤٢ - انظر: شرح الرضي على الكافية ٤ / ٤٩٨ .

٢٤٣ - الكتاب ٤ / ١٦١ .

٢٤٤ - هود ٧٨

٢٤٥ - البقرة ٢٢٨ .

وحملهنّ في قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ^{٢٤٦} وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ^{٢٤٦} ﴾

، ومثلهنّ في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ^{٢٤٧} ﴾ ،

وأيديهنّ وأرجلهنّ في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ

شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا

يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^{٢٤٨} ﴾ فاختلف عن يعقوب في

الوقف على ذلك بالهاء فقطع في التذكرة بإثبات الهاء عن يعقوب في ذلك كله "٢٤٩".

ويشير سيبويه لهذه الظاهرة في ثانيا كتابه حيث قال: " مثل ذلك: هته وضربتته وذهبتته " ٢٥٠ .

ثالثها: السكت على الضمائر المنفصلة هو وهي من غير خلاف عنه.

ينقل لنا ابن الجزري هذا الوجه في أصول الوقف بهاء السكت عند يعقوب حيث قال: " هو وهي

حيث وقعا وكيف جاء نحو: وهو، ولهو، وأن يمل هو، فإنه هو، ولا إله إلا هو، ونحو: ما هي،

ولهي، وهي، فوقف على ذلك بالهاء يعقوب من غير خلاف عنه " ٢٥١ .

٢٤٦ - الطلاق ٤ .

٢٤٧ - الطلاق ١٢ .

٢٤٨ - الممتحنة ١٢ .

٢٤٩ - النشر ٢ / ١٣٥ .

٢٥٠ - الكتاب ٤ / ١٦١ .

٢٥١ - النشر في القراءات العشر ٢ / ١٣٥ .

ويعلل لنا سبب سبب السكت على هذه الضمائر فيقول: " قالوا: هيه وهم يريدون هي شبهوها بياء بَعْدِي [جاء من بعديه] وقالوا: هوه لَمَّا كانت الواو لا تصرف للإعراب، كرهوا أن يلزموها الإسكان في الوقف فجعلوها بمنزلة الياء، كما جعلوا كيفه بمنزلة مسلمونه " ^{٢٥٢}. ويقول ابن هشام: " من خصائص الوقف اجتلاب هاء السكت فكلُّ مبني على حركة بناء دائماً ولم يُشَبَّه المعرب،

وذلك كياء المتكلم، وكهَي، وَهُوَ فِيمَنْ فَتَحْنِمْ وَفِي التَّنْزِيلِ: مَا هِيَّةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا

هِيَّةُ ﴾ ^{٢٥٣}، وَمَالِيَّةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةُ ﴾ ^{٢٥٤}، وَسُلْطَانِيَّةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَلَاكَ

عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ ﴾ ^{٢٥٥} بالسكت عليها " ^{٢٥٦}.

رابعها: الوقف بهاء السكت على المشدد المبني بخلف عنه، وقع السكت على المضعف المبني عند يعقوب في مواضع كثيرة منها: إليّ ^{٢٥٧}، عليّ ^{٢٥٨}، في القرآن منفردا بذلك عن بقية القراء.

يقول ابن الجزري: " المشدد المبني نحو عليّ في قوله تعالى: ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ^{٢٥٩}،

وإليّ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَتَّيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ ^{٢٦٠}، ويديّ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا

^{٢٥٢} - الكتاب ٤ / ١٦٣.

^{٢٥٣} - القارعة ١٠.

^{٢٥٤} - الحاقة ٢٨.

^{٢٥٥} - الحاقة ٢٩.

^{٢٥٦} - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ٣٤٩ - ٣٥٠.

^{٢٥٧} - وهي في خمسة وعشرين موضعاً أولها في آل عمران آية ٥٥، انظر الشمعة في انفراد الثلاثة ٣٥٤.

^{٢٥٨} - وهي في ستة عشر موضعاً، أولها في النساء الآية ٧٢، انظر الشمعة في انفراد الثلاثة ٣٥٤.

^{٢٥٩} - النمل ٣١.

مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِدْيَ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٢٦١﴾ ، ومصرخي في قوله تعالى:

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرَخِينَ﴾ ﴿٢٦٢﴾ ، ولدي في قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ

فاختلف فيه عن يعقوب أيضاً، فنص على الوقف عليه بالهاء ليعقوب بكماله أبو الحسن طاهر بن غلبون، والحافظ أبو عمرو الداني، والأستاذ أبو طاهر بن سوار، و أبو بكر بن مهران عن روح وحده، والأكثر على حذف الهاء وقفاً، وكلاهما ثابت عن يعقوب " ٢٦٤ .

يقول الزمخشري: " اعلم أن كل متحرك ليست حركته إعرابية يجوز عليه الوقف بالهاء نحو: ثمّه وليته وكيفه وأئه وحيهله وما أشبه ذلك " ٢٦٥ .

خامسها: الوقف بهاء السكت على كلمات مخصوصة، وأمّا الكلمات المخصوصة فهي أربع كلمات: ويلتي، وأسفي، ويا حسرتي، وثمّ الظرف ٢٦٦ .

ويبين سيبويه هذه الحالة بأنهم قد يلحقون الهاء بالألف التي في النداء في الوقف، والألف والياء والواو في الندبة؛ لأنّه موضع تصويت وتبيين، فأرادوا أن يمدوا فألزموها الهاء في الوقف لذلك وتركوها في الوصل؛ لأنّه يستغنى عنها كما يستغنى في المتحرك في الوصل، ولأنّه يجيء ما يقوم مقامها، وذلك قولك يا غلاماه، ووازيده، وواغلامهوه، ووا زهاب غلاميه " ٢٦٧ .

٢٦٠ - الأنعام ٥٠ .

٢٦١ - ص ٧٥ .

٢٦٢ - إبراهيم ٢٢ .

٢٦٣ - ق ٢٩ .

٢٦٤ - النشر في القراءات العشر ٢ / ١٣٥ .

٢٦٥ - المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٤٦١ .

٢٦٦ - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ١٣٦ .

٢٦٧ - الكتاب ٤ / ٢٢٦ - ٢٢٧ ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ٥٤ .

والوقف بالسكت على ثمّ الظرف، فإنّ الزمخشري ينقل لنا أنّ كل متحرك ليست حركته إعرابية يجوز عليه الوقف بالهاء نحو: ثمّ وليته وكيفه وأثّه وحيهله وما أشبه ذلك^{٢٦٨}. ولا بدّ من التنبيه إلى أنّ إلحاق هاء السكت لكثير من الكلمات هي لغة من لغات العرب، غير أنّ العلماء لم ينسبوا هذه اللغة لقوم بأعينهم، وغالب العرب لا يلحقون هاء السكت بالكلمات، وكلها لغات فصيحة نزل القرآن بها، ولا يجوز لأحد أن يضعفها أو يردّها.

يقول سيويوه: "وناسٌ من العرب كثير لا يلحقون الهاء كما لم يلحقوا هو وهن ونحوهما" ^{٢٦٩}.

فحكم اجتلاب هاء السكت في المبني الجواز، وانقسم العرب في جلبها وتركها لقسمين، فالغالب الأعمّ لا يأتون بها في كلامهم وجاءت قراءة الجمهور بلسانهم، وبعض العرب يأتون بها وجاءت قراءة يعقوب بلسانهم، والسبب في الإتيان بهاء السكت تبين حركة أواخر الكلمات المبنية، والسكت على كثير من المبني ما زال مستخدماً في لهجاتنا العربية في هذا الزمان، فيقولون: هُوّه، هيّه، كيفه، وبعضه لا يستعمل في اللهجات العربية الحالية إلا ما جاء في القراءات القرآنية على رأسها قراءة يعقوب.

^{٢٦٨} — انظر: المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٤٦١.

^{٢٦٩} — الكتاب ٤ / ١٦٥.

المطلب الثاني: حذف هاء السكت

هي هاء مختصة بحال الوقف، فإذا أُدرجت حُذفت^{٢٧٠}. يقول ابن يعيش: "ولا تكون هذه الهاء إلا ساكنة لأنها موضوعة للوقف، والوقف إنما يكون على الساكن وتحريكها لحنٌ وخروج عن كلام العرب؛ لأنه لا يجوز ثبات هذه الهاء في الوصل فتحرك، بل إذا وصلت استغنيت عنها بما بعدها من الكلام، تقول: وازيداه، فإذا وصلت قلت: وازيدا وعمراه فتلحق الهاء للذي تقف عليه، وتسقطها من الذي تصله"^{٢٧١}. ويؤتى بها؛ لبيان حركة أو حرف نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ

مَا هِيَ ﴾^{٢٧٢}، ونحو: هَاهُنَا، ووَازِيْدَاهُ. وأصلها أن يوقف عليها، وربما وُصِلَتْ بِنِيَّةِ الْوَقْفِ^{٢٧٣}

وقرأ حمزة ويعقوب مالياه وسلطانيه من قوله تعالى: وماليه في قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي

مَالِيَهٗ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ ﴾^{٢٧٤} بحذف الهاء منهما وصلا وأثبتاهما وقفا، فجاءت قراءتهما موافقة لما

قعدّه النحاة في هاء السكت،

وانفرد يعقوب في قراءة كتابيه بحذف هاء السكت وصلا في قوله تعالى: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ﴾^{٢٧٥}

﴿ يَلِيْنِي لَمَّا أَوْتِ كِتَابِيَهٗ ﴾^{٢٧٦} و حسابيه في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَهٗ ﴾^{٢٧٧} ﴿ وَلَمْ أَدْرِ

^{٢٧٠} - انظر: المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٤٦١.

^{٢٧١} - شرح المفصل ٩ / ٤٦.

^{٢٧٢} - القارعة ١٠.

^{٢٧٣} - مغني اللبيب ٣٣١.

^{٢٧٤} - الحاقّة ١٩، ٢٥.

مَا حِسَابِيَّةٌ ۚ^{٢٧٨} ، والباقون بالإثبات في الحالين، فلا خلاف في إثباتها وقفاً^{٢٧٩} . فقراءة يعقوب

جاءت موافقة لما قعدّه النحاة، أمّا قراءة الجمهور فجاءت مخالفة لقواعد النحاة حال الوصل؛ لأنّ هاء السكت لا تثبت في حالة الوصل عندهم، والأصل أن تُحذف؛ لأنّها تأتي لبيان الحركة حال الوقف، ويخرجها النحاة على التخريجات الآتية:

أولها: أنّها قرئت بالإثبات مراعاة لخط المصحف يقول الزمخشري: " وقرأ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعاً لاتباع المصحف " ^{٢٨٠} .

ثانيها: أنّها وُصِلتْ بِنِيَّةِ الْوَقْفِ ^{٢٨١} .

ثالثها: أنّ هذه الهاء تزداد في السعة وصلًا ووقفًا ^{٢٨٢} .

فالأسباب الماضية تُخرج عليها قراءة الجمهور، وفي هذه القراءة دليل على جواز إثبات هاء السكت في حال الوصل وجواز حذفها، والأشهر الأكثر من كلام العرب حذفها حال الوصل، وجاءت القراءة المختارة عند الجمهور بإثباتها حال الوصل، وانفرد يعقوب فحذفها حال الوصل موافقا المشهور عن العرب.

^{٢٧٥} - الحاقّة ١٩

^{٢٧٦} - الحاقّة ٢٥ .

^{٢٧٧} - الحاقّة ٢٠ .

^{٢٧٨} - الحاقّة ٢٦ .

^{٢٧٩} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٥٥ .

^{٢٨٠} - الكشاف ٦ / ١٩٩ ، البحر المحيط ٨ / ٣١٩ ، المحرر الوجيز ٥ / ٣٣٢ .

^{٢٨١} - انظر: مغني اللبيب ٣٣١ .

^{٢٨٢} - انظر: شرح الرضي على الكافية ٣ / ٢٦١ .

المطلب الثالث: حركة هاء الضمير

اعتنى العرب في هاء الضمير؛ لما وصفت بأنها حرف خفي ضعيف؛ ولذلك خصت في بعض الحالات بأقوى الحركات الكسرة والضممة، وللعرب في هاء ضمير التثنية أو الجمع مثل: إليهنّ، وفيهنّ، وصياصيهنّ، وبعنتيهنّ، وغيرهنّ من الكلمات اختلاف في نطق حركتها، فمنهم من يضمها مطلقاً، ومنهم يضمها أحياناً ويكسرهما أحياناً بحسب ما يجاورها من الحركات والحروف، وضم الهاء في هذه الحالة يسمى عند علماء اللغة الضم على الأصل، وهي لغة الحجاز.

واختلف القراء في ضم الهاء وكسرها من ضمير التثنية والجمع إذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو: عليهم، وإليهم، ولديهم، وعليهما، وإليهما، وفيهما، وعليهنّ، وإليهنّ، وفيهنّ، وأبيهم، وصياصيهنّ، وبعنتيهنّ، وترميمهم، وما نريهم، وبين أيديهنّ، وشبه ذلك، فقرأ يعقوب جميع ذلك بضم الهاء، ووافق حمزة في: عليهم وإليهم ولديهم فقط، فإن سقطت منه الياء لعله جزم أو بناء نحو: وإن يأتهم، ويخزهم، أو لم يكفهم، فاستفتحهم، فأتهم، فإن رويضاً يضم الهاء في ذلك كله إلا في يولّهم من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ بِغَضَبٍ

مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَيَسُوعُ الْمَصِيرُ ۗ ﴾^{٢٨٣} في الأنفال فإن كسرهما بلا خلاف^{٢٨٤}.

وهذه المواطن التي انفرد بها يعقوب عن بقية القراء لها وجه من اللغة العربية، والقرآن حجة بقراءاته المتواترة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فالقراءة سنة متبعة، وهي لغة أهل الحجاز فإنهم يضمون هاء الضمير مطلقاً سواء أجاورتها كسرة أم لم تجاورها، وهذه أقوال علماء اللغة في هذه اللهجة.

^{٢٨٣} — الأنفال ١٦ .

^{٢٨٤} — انظر: النشر في القراءات العشر ١ / ٢٧٢ — ٢٧٣، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ١٦٤، والشمعة في انفراد الثلاث عن السبعة ٣٤٤.

يقول سيبويه: " هذا باب ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار، اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو؛ لأنها في الكلام كله هكذا إلا أن تدركها هذه العلة التي أذكرها لك، وليس يمنعهم ما أذكر لك أيضاً من أن يخرجوها على الأصل، فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياءً أو كسرة؛ لأنها خفيفة وذلك قولك: مررت بهي قبل، ولديهي مال، ومررت بدارهي قبل، وأهل الحجاز يقولون: مررت بهو قبل، ولديهو مال، ويقروون: فحسنا بهو وبارهو الأرض^{٢٨٥}.

وينقل لنا المبرد في باب الإضمار الذي يلحق الواحد الغائب فيقول: " فالأصل في هذا الضمير أن تتبع هاءه واو، فالاسم الهاء وحدها والواو تلحقها لخفاء الهاء، فإذا وقفت بالهاء وحدها، لئلا تكون الواو بمنزلة الحروف الأصلية وذلك قولك: رأيتُه وأعطيتُه إذا وقفت، فإذا وصلت قلت: أعطيتها يا رجل، وجاءني غلامه، رأيت غلامه يا فتى، ومررت بـغلامه، ومررت بهو، فحسنا بهو وبارهو الأرض، وعليه مال، وهذه عصاه يا فتى، وهذا أخوه، فاعلم هذا الأصل في هذا كله، فإن كان قبل هذه الهاء ياء أو كسرة كان الأحسن أن تبدل من ضمتها كسرة؛ لاستئصال الضمة بعد الياء والكسرة، ومن الواو ياء، وإن جئت بها على الأصل كما بدأنا به فعربي جيد " ^{٢٨٦}.

وسمع الكسائي شيخاً من هوازن يقول: عليه مال، وكان يقول عليهم، وفيهم، وبهم وقال أيضاً: هي لغات، يقال: فيه وفيه، وفيه وفيه بتمام وغير تمام^{٢٨٧}.

وقد استقر الأمر في العربية الفصحى في زماننا على حذف الواو والياء بعد هاء الكناية والاكتفاء بالضمة والكسرة، إذا كان ما قبل الهاء ساكناً، سواء كان حرفاً صحيحاً أو حرف لين، فيقال: منة وأكرمة، وفيه وعليه، بضمة وكسرة فقط، وترك ما كان جائزاً من إلحاق واو أو ياء بعد الهاء^{٢٨٨}.

^{٢٨٥} - الكتاب ٤ / ١٩٥.

^{٢٨٦} - المقتضب ١ / ٣٩٩، الحجة للقراء السبعة ١ / ١٣٣.

^{٢٨٧} - لسان العرب / ها.

^{٢٨٨} - ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ٤٦.

ويتبين لنا بعد سرد أقوال العلماء أنّ قراءة ضم هاء الكناية هي لغة أهل الحجاز، وقرأ بها يعقوب وغيره من القراء كحمزة، غير أنّ يعقوب قد قرأ جميع ذلك بضم الهاء خلا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمَهُمْ ﴾^{٢٨٩} فإنّ كسرها بلا خلاف، ولا يوجد سبب في ذلك سوى الرواية.

واختلف عنه في قوله تعالى: ﴿ وَيُلِّمُهُمُ الْآمَلَ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾^{٢٩٠}، و يُغْنِيهِمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ

تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ^٤ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^٥

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^{٢٩١}، وقهم في قوله تعالى: ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ^٤ ﴾^{٢٩٢}، والباقون بكسر الهاء

في ذلك كله في جميع القرآن، لمجانسة الكسر لفظ الياء أو الكسر، وهي لغة قيس وتميم وبني سعد^{٢٩٣}، والسبب في كسر الهاء في الكلمات الماضية هو الميل للسهولة والتيسير، فما جاء عن يعقوب بالكسر فهو ميل للسهولة والتيسير، ذلك أنّ الانتقال من الكسر للضم فيه مشقة وصعوبة على جهازنا النطقي، وما جاء بضم الهاء بعد الكسر فقد جاء على الأصل، وذلك أنّ الأصل في الهاء الضم مطلقاً، فلهذا نقل عنه الوجهان في الكلمات الماضية.

والحاصل في قراءة الجمهور وقراءة يعقوب أنّ للعرب مذهبين في حركة هاء الضمير: المذهب الأول: تحريكه بالضم مطلقاً، وهو مذهب قريش وأهل الحجاز، ومن جاورهم.

^{٢٨٩} - الأنفال ١٦.

^{٢٩٠} - الحجر ٣.

^{٢٩١} - المؤمنون ٣٢.

^{٢٩٢} - غافر الآيتان ٧ - ٩.

^{٢٩٣} - إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٦٤.

المذهب الثاني: تحريكه بالضم إلا إذا وقع بعد ياء أو كسرة فإنه يحرك بالكسر، وهو مذهب أهل نجد من بني تميم وقيس وأسد^{٢٩٤}.

ولقد عرفت العربية تصارعا في أنماطها اللغوية، فقد تجد نمطين لغويين يتصارعان فيموت أحدهما أو يقل استخدامه في زمن من الأزمان، ويطغى الآخر ويسود فمثلا: كلمة باع، اسم المفعول منها مبيع وهي حجازية ومبيوع تميمية وهي الأصل^{٢٩٥}، كانت الحجازية هي السائدة في زمن من الأزمان، أما في زماننا فسادت مبيوع وقلت مبيع، ومثله الأمر من الأفعال المضاعفة عند تميم يقول ابن جني: "شُدَّ وُضِنَ وفِرَّ واستَعِدَّ واصطَبَّ يا رجل واطمئنَّ يا غلام، فالأصل اشُدُّ واطمئنَّ وافررْ واستعدِّ واصطببْ وأطمئنْ وهي لغة أهل الحجاز وهي اللغة الفصحى القُدَمَى"^{٢٩٦}. لكننا في هذا الزمان نستعمل لسان تميم في الأمر من المضاعف.

وليست قوة اللغة وفصاحتها هي العامل الوحيد لسيادة لغة على أخرى، بل قد تجد اللغة الأقل فصاحة هي المنتشرة والفصيحة أقل انتشارا كما حصل في مبيع ومبيوع، فهناك عوامل كثيرة في انتشار وسيادة اللغة، والناظر في هذا الزمان يجد أن نمط بني تميم وقيس وأسد — وهو تحريك هاء الضمير { الكناية } بالضم إلا إذا وقعت الهاء بعد ياء أو كسرة فإنها تحرك بالكسر — هو السائد الموجود، وأما نمط الحجازيين وقريش فقد عفت عليه الديار إلا ما بقي في القراءات القرآنية، وقراءة يعقوب أكبر شاهد على ذلك.

ونشأ يعقوب في البصرة وليست البصرة من الحجاز، ولم يعرف ضم هاء السكت إلا عن الحجازيين، فدلَّ هذا أن القراءة سنة متبعة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — لا ارتباط لها بنشأة القارئ وبيئته فقد توافق لهجة القارئ وقد تخالفها.

^{٢٩٤} - ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ٤١.

^{٢٩٥} - انظر شرح ابن عقيل ٤ / ٢٣٨ .

^{٢٩٦} - الخصائص ١ / ٢٦٠.

المبحث الخامس: التضعيف والتخفيف

عرفت العربية التضعيف والتخفيف في شعرها ونثرها، فكانت تميم وأهل البوادي أهل تضعيف وتثقل فهم يميلون لبذل الجهد العضلي في كلامهم، وكانت الحجاز أهل تخفيف لما عُرف عنهم الميل نحو السهولة والتيسير في كلامهم، وكلاهما عربي فصيح وبذلك جاء القرآن بقراءاته.

أمّا الغاية من ظاهرة التخفيف والتضعيف التي اتبعتها العربية، فهي التخفيف النطقي، واقتصاد الجهد العضلي المبذول جراء النطق بأصوات متماثلة أو متقاربة متتالية؛ لذا يلجأ اللسان إلى تخفيفها أو دمج هذه الأصوات، وتكوين صوت واحد مشدد^{٢٩٧}، ولما كان البدو يعيشون في صحارى مترامية الأطراف يفنى فيها الصوت ويذوب في جنباتها فلا تكاد تتضح، لذا حرص هذا البدوي على توضيح أصواته حتى تسمع، ولجأ إلى هذا بطرق شتى منها الجهر، والتفخيم، والتشديد والتثقل^{٢٩٨}.

وينقل لنا سيبويه في باب التضعيف أنه قد ثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك، تعب عليهم أن يدركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة كرهوه وأدغموا؛ لتكون رفعة واحدة، وكان أخفّ على ألسنتهم مما ذكرت لك^{٢٩٩}.

وقد جاء الحديث في التضعيف والتخفيف في مطلبين وهما:

المطلب الأول: التشديد الصوتي

المطلب الثاني: التخفيف الصوتي

^{٢٩٧} — انظر: توجيهات ابن خالويه الصوتية في القراءات القرآنية في كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ١٦٠.

^{٢٩٨} — انظر: اللهجات العربية في التراث ٦٥٧.

^{٢٩٩} — انظر: الكتاب ٤ / ٤١٧.

المطلب الأول: التشديد الصوتي

لما كانت القبائل العربية مختلفة في لهجاتها فتميم تقرأ بالنتقيل والتشديد في غالب الأحيان في لسانها، أما الحجاز فيعرف لسانهم بالتخفيف لميلهم نحو السهولة والتيسير، نزل القرآن بكلا اللهجتين، ومن القراء الذين قرءوا بالتشديد والنتقيل أبو جعفر وكذا يعقوب وانفرد كل منهما عن بقية القراء بتشديد وتثقل بعض الكلمات من غير أن يتفقا في أي موضع، متبعان لسان تميم^{٣٠٠}.

قرأ أبو جعفر بالتشديد في بعض المواطن، فقرأ بتشديد ياء الميتة بلا خلاف في جميع المواضع في القرآن^{٣٠١}. وكذا قرأ مفرطون بتشديد الراء من قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ هُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم

مُفْرَطُونَ﴾^{٣٠٢}، فأبو جعفر بكسرها مشددة من فرط قصر، والباقون بالفتح مع التخفيف اسم مفعول

من الفعل أفرط. وقرأ أيضا قنلت من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّ ذُنُبٍ قُنِلْتَ﴾^{٣٠٣} مشددة التاء، وقرأ

الباقون "قنلت" خفيفة التاء^{٣٠٤}. وقرأ تأمنا أيضا من قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا

عَلَى

^{٣٠٠} - انظر: اللهجات العربية في التراث ٦٥٧.

^{٣٠١} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٥٠.

^{٣٠٢} - النحل ٦٢.

^{٣٠٣} - التكوير ٩.

^{٣٠٤} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٤٦٤. إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٧٣.

يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنُصِحُونَ ﴿٣٠٥﴾ بالإدغام المحض للنون بلا إشماع ولا روم فينطق بنون مفتوحة

مشددة ٣٠٦.

وقرأ أبو جعفر بتشديد باء لبدا في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾ ٣٠٧ وقرأ الباقون

بتخفيفها. وقرأ أيضا إِيَابَهُمْ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ٣٠٨ مشددة الياء، وقرأ الباقون

" إِيَابَهُمْ " مخففة الياء " ٣٠٩. ويرى أبو حاتم أنه لا يجوز تشديد إِيَابِ، ولو جاز فيه لجاز في الصيام والقيام ٣١٠. ويرد ابن جني في المحتسب فيقول: أنكر أبو حاتم هذه القراءة، وحملها على نحو: كذبوا كذابا، وقال هذا لا يجوز؛ لأنه كان يجب إِيَابَا، لأنه فَعَالٌ، قال: ولو أراد ذلك لقال: إِيَابَا فقلب الواو ياء للكسرة قبلها كديوان وقيراط ودينار، لقولهم: دواوين وقراريط ودنانير. ويتابع ابن جني حديثه فيقول: فأصله أيوبت فقلبت الواو ياء، لوقوع الياء ساكنة قبلها فصارت أيبت، ثم جاء المصدر على هذا إِيَابَا، فوزنه فيعال أيواب فقلب بالواجب، وإن شئت أيضا جعلت أُوْبَت فوعلت بمنزلة حوقلت، وجاء المصدر على الفيعال كالحيقال ٣١١.

٣٠٥ - يوسف الآية ١١.

٣٠٦ - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٢٩.

٣٠٧ - البلد ٦.

٣٠٨ - العاشية ٢٥.

٣٠٩ - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٤٦٩. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها ١ / ٦٦٠، إتحاف فضلاء البشر ١ /

٥٨٢

٣١٠ - انظر: الكشف والبيان ١٠ / ١٩٠.

٣١١ - انظر: المحتسب ٢ / ٣٥٨.

وليت أبا حاتم سار على خُطأ أبي عمرو حيث قال: " لولا أنّه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأت،
لقرأت حرف كذا كذا، وحرف كذا كذا " ٣١٢

وأما يعقوب فقد انفرد بالتشديد عن بقية القراء في موضع واحد فشدد اللات في قوله تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ ﴾ ٣١٣ فروى رويس عن يعقوب بتشديد التاء ويمد للساكنين [أي التقاء الساكنين]

وهي قراءة ابن عباس، ومجاهد، ومنصور بن المعتمر، وطلحة، وأبي الجوزاء، وقرأ الباقون
بتخفيفها ٣١٤.

وتشديد التاء في اللات لغة في هذا الاسم؛ لأنّ كثيراً من العرب يقولون: أصل صخرته موضع
كان يجلس عليه رجل في الجاهلية يلتّ السويق ٣١٥ للحاج فلما مات اتخذوا مكانه معبداً ٣١٦.

ولعلنا نجد أنّ أبا جعفر قد أكثر من التشديد منفرداً بذلك عن بقية القراء، مع أنّ أبا جعفر من
المدينة، والمدينة من الحجاز، وهم الذين يميلون للتخفيف وينفرون من التشديد، بخلاف يعقوب
فهو من البصرة، وأهل البصرة من البدو وهم من عرفوا بالتشديد والغلظة حتى في كلامهم، ومع
ذلك لم ينفرد بشيء من التشديد خلا موضع واحد، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ أنّ القراءة سنة متبعة
للنبي — صلى الله عليه وسلم — لا علاقة لها ببيئة القارئ ولهجته.

٣١٢ — انظر: النشر في القراءات العشر ١ / ١٧.

٣١٣ — النجم ١٩.

٣١٤ — انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٧٩.

٣١٥ — السويق طعام يُتخذ من الحنطة والشعير، انظر: لسان العرب / سوق.

٣١٦ — انظر: التحرير والتنوير ٢٧ / ١٠٤.

المطلب الثاني: التخفيف الصوتي

قرأ أبو جعفر بالتخفيف في مواطن من القرآن الكريم مخالفاً بذلك جميع القراء، وموافقاً لهجة قومه فهو من المدينة والمدينة من الحجاز، وأهل الحجاز يخففون، أما يعقوب فلم يقرأ بالتخفيف إلا ما وافق فيه القراء، وهو بذلك يوافق قومه بالتشديد، وجاء تخفيف أبي جعفر للياء في أمانيّ حيث وقع، وكذا أمنيّته.

قرأ أبو جعفر قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾^{٣١٧}، و﴿تِلْكَ أَمَانِيَّهُمْ﴾^{٣١٨}، ﴿لَيْسَ

بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^{٣١٩}، ﴿فِي أُمِّيَّتِهِ﴾^{٣٢٠} بتخفيف الياء فيهنّ مع إسكان

الياء المرفوعة والمخفضة من ذلك، وهو على كسر الهاء من أمانيّهم لوقوعها بعد ياء ساكنة، وقرأ الباقر بتشديد الياء فيهنّ وإظهار الإعراب^{٣٢١}.

ويوجه الفراء قراءة الأمانيّ قائلاً: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

يُظُنُّونَ﴾^{٣٢٢} فالأمانيّ على وجهين في المعنى، ووجهين في العربية، فأما في العربية فإنّ من

العرب من يخفف الياء فيقول: "إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ" ومنهم من يشدّد، وهو أجود الوجهين^{٣٢٣}.

^{٣١٧} - البقرة ٧٨.

^{٣١٨} - البقرة ١١١.

^{٣١٩} - النساء ١٢٣.

^{٣٢٠} - الحج ٥٢.

^{٣٢١} - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٢١٧، إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٨٢، المبسوط في القراءات العشر ١ / ١٣١.

^{٣٢٢} - البقرة ٧٨.

^{٣٢٣} - انظر: معاني القرآن للفراء ١ / ٤٩.

ويوجه أبو الفتح هذه القراءة بأن أصل هذا كله التثقيل - أمانيّ، أمنيته - والتخفيف في هذا النحو كثير وفاش عندهم^{٣٢٤}. وكل ما جاء من هذا النحو واحده مشدد، فلك فيه التشديد والتخفيف مثل: أنانيّ، وأغانيّ، وأمانيّ، ونحوه، قال الأخفش: هذا كما يقال: في جمع مفاتيح ومفاتيح^{٣٢٥}.

ومن خلال اطلاعنا على توجيه الفراء لكلمة أمانيّ بالتشديد ووصفها بالأجود، ونظرة ابن جني بأنها الأصل، يتبين لنا في دراستنا أنّ كلّاً منهما يفضل قراءة التشديد على قراءة التخفيف، وتفضيل قراءة على أخرى يوهم بجودة واحدة وانحطاط الأخرى عن الأولى، ولا ينبغي لأحد أن يصف القرآن ولا قراءاته بهذا.

ومن التخفيف أيضاً تخفيف راء تضار في قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارُّ وِلْدَهُ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ﴾

﴿يُولِدُوهٗ﴾^{٣٢٦}، ولا يضارّ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ﴾

﴿بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^{٣٢٧}. قرأ أبو جعفر بسكونها

مخففة من رواية عيسى غير طريق ابن مهران عن ابن شبيب وابن جمار من طريق الهاشمي، وكذلك ولا يضارّ كاتب آخر السورة، قيل: من ضار يضير، ويكون السكون لإجراء الوصل مجرى الوقف " ^{٣٢٨}.

^{٣٢٤} - انظر: المحتسب ١ / ٩٤.

^{٣٢٥} - انظر: تفسير البحر المحيط ١ / ٤٤٢، اللباب في علوم الكتاب ٢ / ٢٠٤.

^{٣٢٦} - البقرة: ٢٣٣.

^{٣٢٧} - البقرة: ٢٨٢.

^{٣٢٨} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٠٤.

يقول أبو الفتح: إذا صحت هذه القراءة فينبغي أن يكون أراد لا تضارر، إلا أنه حذف إحدى الرائين تخفيفاً، وينبغي أن تكون الثانية هي المحذوفة، لأنها الأضعف وبتكريرها وقع الاستتقال، والأولى ساكنة مدغمة في الثانية، ولذلك أقرت على سكونها؛ ليكون ذلك دليلاً على أنها كانت مدغمة قبل الحذف^{٣٢٩}. قال الزمخشري: " لا تضارُ بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره، ونوى الوقف أو اختلس الضمة فظنه الراوي سكوناً^{٣٣٠} .

ويرد أبو حيان على الزمخشري قائلاً: " أجري الوصل فيه مجرى الوقف، وهي قراءة الأعرج من ضار يضير، وقال الزمخشري: اختلس الضمة فظنه الراوي سكوناً انتهى. وهذا على عادته في تغليب القراء وتوهمهم، ولا نذهب إلى ذلك^{٣٣١} .

وتوجيه قراءة تخفيف الراء يكون بأمرين هما :

الأول: أنه من تضارر، وحذف الراء الثانية؛ تخفيفاً وبتكريرها وقع الاستتقال، والأولى ساكنة، مدغمة في الثانية، ولذلك أقرت على سكونها؛ ليكون ذلك دليلاً على أنها كانت مدغمة قبل الحذف الثاني: أن تكون من ضار يضير، فلا تخفيف حينئذ، وسكنها لأنه أجرى الوصل فيه مجرى الوقف.

^{٣٢٩} - انظر المحتسب ١ / ١٢٣ - ١٢٤.

^{٣٣٠} - الكشف ١ / ٤٥٦.

^{٣٣١} - انظر تفسير البحر المحيط ٢ / ٢٢٥.

المبحث السادس: الإدغام { المماثلة }

الإدغام لغة: إدخال اللجام في أفواه الدواب، وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا، قال الليث: هو إدخال حرف في حرف ^{٣٣٢}.
يقول أبو البقاء العكبري: " الإدغام: وصلك حرفاً ساكناً بحرفٍ مثله من موضعه من غير فاصلٍ بينهما بحركةٍ ولا وقْفٍ، فتصيرُهما بالتداخلِ كحرفٍ واحدٍ، ترفعُ لسانك بهما رفعةً واحدةً وتشدّده، وهو مقدّرٌ بحرفين الأوّل منهما ساكن " ^{٣٣٣}.

وقد جاء الحديث في الإدغام في مطلبين هما:
المطلب الأول: المماثلة الرجعية { إدغام التاء في السين }.
المطلب الثاني: إدغام التاءين في أول الفعل المضارع.

^{٣٣٢} — انظر: تهذيب اللغة / دغم.

^{٣٣٣} — اللباب في علل البناء والإعراب ٢ / ٤٦٩.

المطلب الأول: المماثلة الرجعية [إدغام التاء في السين]

أمّا الإدغام عند علماء اللغة المحدثين فيطلقون عليه المماثلة، والمماثلة عندهم نوعان رجعية وتقدمية، وذلك بحسب كونها من الأمام للخلف، أو من الخلف للأمام، والمماثلة الرجعية هي الأكثر شيوعاً من الأخرى، أمّا ما يهمننا فهو المماثلة الرجعية، ويتأثر فيها الأول بالثاني من ذلك كلمة اذكر، فأصلها اذكر فقد فني الصامت الأول الذال في الصامت الثاني التاء التي صارت دالا فأصبح مثلها لتصير من اذكر اذكر ثم اذكر^{٣٣٤}.

وبالمماثلة الرجعية قرأ يعقوب يسألون في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا

فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾^{٣٣٥} مشددة السين ممدودة مهموزة يسألون مثل قراءة الحسن

والجحدري^{٣٣٦}. والأصل: يتساءلون فأدغم التاء في السين أي: يسأل بعضهم بعضاً^{٣٣٧}.

ويسألون أصلها يتساءلون، فتأثر الصوت الأول التاء بالصوت الثاني السين ففني فيه.

أمّا السبب في حصول المماثلة الرجعية فهي القوة، وتتحقق القوة بأمرين هما:

الأول: قوة ذاتية في الصوت المؤثر ناشئة عن اشتماله عناصر أكثر من الصوت المتأثر فصوت

التاء في يتساءلون صوت يشتمل على صفات ضعيفة، أمّا السين ففيه بعض الصفات القوية

كالصغير مثلاً.

^{٣٣٤} - انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣١ - ٢٣٢.

^{٣٣٥} - الأحزاب ٢٠.

^{٣٣٦} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٣٥٧. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها ١ / ٦٢٠، إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٥٣.

^{٣٣٧} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٥ / ٥٢٤. التحرير والتتوير ٢١ / ٣٠٢.

الثاني: قوة موقعية حين يكون الصوت المؤثر بداية مقطع، في حين يحتل الصوت المتأثر نهاية المقطع السابق، ومع هذا يجب أن يوجد تقارب بين الصوتين أو تجانس؛ ليتم الإدغام^{٣٣٨}. والتقارب بين الصوتين في المخرج حاصل، فكلاهما يخرج من طرف اللسان، وليس شرطاً أن يؤثر الأقوى بالأضعف فقد يحدث العكس، وهذا الحكم فيه للاستعمال اللغوي.

والفك لغة الحجاز، والإدغام لغة تميم، يقول ابن هشام: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ

عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^{٣٣٩} فيقرأ بالفك،

وهو لغة أهل الحجاز، والإدغام وهو لغة تميم^{٣٤٠}.

ويرى بعض علماء اللغة أن الفك أجود من الإدغام، وإن كان كل منهما فصيحاً مقروءاً به في المتواتر، ولعل الناظم أوماً إلى ذلك بتقديم الفك في النظم "٣٤١". وهذا الادعاء لا دليل عليه، فإن اللغة جاءت بشعرها ونثرها بأمتلة كثيرة على الإدغام، وجاء القرآن بقراءته بآيات كثيرة على لغة الإدغام.

^{٣٣٨} — انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٩.

^{٣٣٩} — البقرة ٢١٧ .

^{٣٤٠} — انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ٤١١.

^{٣٤١} — انظر: حاشية الصبان ٤ / ٣٤٩ ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٣ / ٨٩٣.

المطلب الثاني: إدغام التاءين في أول الفعل المضارع

عرف إدغام التاءين بتاءات البزّي: وهي التاءات التي يشدها البزّي عن ابن كثير وصلا في تاء التفعّل و التفاعل، وهي واحد وثلاثون موضعاً^{٣٤٢}. ويسمى هذا النوع بالإدغام الكبير^{٣٤٣}. وقد ورد الإدغام عند يعقوب فكان إذا ابتداءً بقوله تعالى: " تتمارى "، ورويس عن يعقوب بقوله تعالى: " تتفكروا " ابتداءً بالتاءين جميعاً مظهرتين؛ لموافقة الرسم والأصل، والإدغام إنّما يتأبى في الوصل^{٣٤٤}.

ولإدغام التاءين في أول المضارع ثلاثة أضرب عند البزّي، غير أنّ يعقوب لم يرد عنه إلا ضرب واحد وهو المتحرك قبل المدغم، وذلك في حالة الوصل، أمّا في حالة البدء فإثمه يوافق جمهور القراء، ووقع في كلمتين هما تتفكروا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَجْدَةٍ أَنْ

تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفَرْدَىٰ ثُمَّ نَنْفِكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جُنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَىٰ

عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٣٤٥﴾. وتتمارى في قوله تعالى: ﴿ فَيَأْتِيءَ آءَاءَ رَبِّكَ نَتَمَارَىٰ ﴾^{٣٤٦}، وقد ورد هذا الموضع عند البزّي ثماني مرات، ويصفه مكّي قائلاً: " هذا إدغام حسن لا دخل فيه ولا علة"^{٣٤٧}.

^{٣٤٢} — انظر: معجم علوم القرآن ١ / ٧٦.

^{٣٤٣} — الإدغام الكبير: هو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً. سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين. وسمي كبيراً لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون. وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه. وقيل لما فيه من الصعوبة. وقيل لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين. النشر ١ / ٢٧٤ — ٢٧٥.

^{٣٤٤} — انظر: النشر في القراءات العشر ١ / ٣٠٣. إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٦١.

^{٣٤٥} — سبأ: ٤٦.

^{٣٤٦} — النجم ٥٥.

^{٣٤٧} — الكشف ١ / ٣١٤ — ٣١٥.

وهذا الوجه من الإدغام متفق عليه؛ لأنه لا يقع إلا حال الوصل عند يعقوب، وإذا بُدء به بُدء بإظهار التائين؛ لموافقة الرسم والأصل، فالإدغام إنما يتأتى في الوصل، وهذا بخلاف الابتداء بتاءات البزّي فإنّها مرسومة بتاء واحدة، فكان الابتداء كذلك موافقا للرسم، وإذا أراد أن يبدأ بالإدغام بُدء بساكن، ولا يمكن الابتداء بساكن إلا بجلب همزة الوصل للتّوصّل للنطق به^{٣٤٨}. فكان يلزمه إدخال ألف الوصل للابتداء، فيتغير الكلام، ويزيد في الخط ما ليس فيه، فرجع إلى التخفيف في الابتداء^{٣٤٩}.

^{٣٤٨} — انظر: النشر في القراءات العشر / ١ / ٣٠٣، إتحاف فضلاء البشر / ١ / ٤٦١.

^{٣٤٩} — انظر: الكشف / ١ / ٣١٤ — ٣١٥.

المبحث السابع: مسائل صوتية متفرقة

جاء هذا المبحث في أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: الإشمام.

المطلب الثاني: الوقف على النون الخفيفة ألفا.

المطلب الثالث: إخفاء النون عند الغين والحاء.

المطلب الرابع: السكت.

المطلب الأول: الإشمام

هو تهيئة العضو؛ لإخراج الصوت الذي هو الضم ليدلّ عليه، وليس بخارج إلى اللفظ^{٣٥٠}. ويتحدث سيبويه عن الإشمام في ثنايا الكتاب مبينا سببه وعلته حيث قال: " هذا باب الوقف في آخر الكلم المتحركة في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف. فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك، وبالتضعيف فأما الذين أشموا فأرادوا أن يفرّقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان على كل حال، وأما الذين لم يشمّوا فقد علموا أنهم لا يفقون أبداً إلا عند حرف ساكن فلما سکن في الوقف جعلوه بمنزلة ما يسكن على كل حال لأئنه وافقه في هذا الموضع"^{٣٥١}. وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوتٍ للأذن، ألا ترى أنك لو قلت: هذا معن فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تشم^{٣٥٢}. واختصاص الإشمام بالضمة دون غيرها من الحركات يعود إلى أنها من الواو، والواو تخرج من بين الشفتين وبهما تعالج^{٣٥٣} والفصل بين الروم والإشمام أن الإشمام إنما يفهمه البصير دون الضيرير؛ لأئنه عمل بالشفة بعد الفراغ من الحرف^{٣٥٤}. وحكي عن الكوفيين أنهم يسمّون الإشمام روماً والروم إشماماً، قال مكّي: وقد روي عن الكسائي الإشمام في المخفوض، ثم يتابع قائلاً: وأراه يريد به الروم؛ لأنّ الكوفيين يجعلون ما سميّناه روماً إشماماً وما سميّناه إشماماً روماً^{٣٥٥}.

^{٣٥٠} — انظر: الحجة للقراء السبعة ١/ ٢١٢.

^{٣٥١} — الكتاب ٤ / ١٦٨ .

^{٣٥٢} — انظر: الكتاب ٤ / ١٧١، الخصائص ٢ / ٣٢٨.

^{٣٥٣} — انظر: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ١ / ٢٠٣.

^{٣٥٤} — انظر: علل النحو ١ / ١٥٦.

^{٣٥٥} — انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ١٢١.

وتفرد قارئنا أبو جعفر بالإشمام من بين القراء العشرة، حيث روى هبة الله وغيره عن عيسى عن ابن وردان عن أبي جعفر إشمام كسرة الملائكة الضم، وهو في خمسة مواضع^{٣٥٦}، أولها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^{٣٥٧} والباقون بالكسرة الخالصة على الجر^{٣٥٨}.

والخلاصة أنّ ظاهرة الإشمام كثيرة في القرآن وقراءاته^{٣٥٩} وتفرد أبو جعفر في قوله تعالى: "للملائكة اسجدوا" بإشمام التاء، وهي قراءة متواترة، والإشمام كثير في اللغة والقراءات القرآنية، ولذلك وضع علماء التجويد باب الإشمام في كتبهم، وكذلك علماء اللغة، فهذا ابن هشام يذكر في باب الوقف فيقول: "ولك في الوقف على المحرك الذي ليس هاء التأنيث خمسة أوجه، ويتابع كلامه قائلا: ثالثها: أن تقف بالإشمام، ويختص بالمضموم وحقيقته: الإشارة بالشفنتين إلى الحركة بُعَيْدَ الإسكان من غير تصويت، فإنما يدركه البصير دون الأعمى" ^{٣٦٠}.

ولا نلاحظ هذه الأيام أحدا من متكلمي العربية الفصحى يحرص على الإشمام في وقفه، حتى بدا ذلك أمرا غريبا عجيبا عند الناس، إلا ما وجد عند قلة قليلة من القراء المتمسكين بالرواية.

^{٣٥٦} - والأعراف الآية ١١ والإسراء الآية ٦١ والكهف الآية ٥٠ وطه الآية ١١٦

^{٣٥٧} - البقرة ٣٤ .

^{٣٥٨} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٧٥.

^{٣٥٩} - ولم أجد تعليقا للمفسرين على قراءة الإشمام لأبي جعفر، من ذلك الثعلبي في الكشف والبيان، وابن عطية في المحرر الوجيز، والزمخشري في الكشاف، والسمين الحلبي في الدر المصون، وابن عادل في اللباب، وأبو حيان في البحر، وكذا في تفسير البغوي والرازي، وفي التحرير والتنوير، لابن عاشور، ولعل السبب في ذلك أنهم فصلوا الحديث في ضم تاء الملائكة على الإتيان، ولم ينشغلوا بالإشمام؛ لأنها ظاهرة صوتية بحتة، والمفسرون لم يتطرقوا للظواهر الصوتية التي لا علاقة لها بحركة الإعراب أو البناء في تفاسيرهم، واعتنوا بالظواهر النحوية والصرفية والصوتية المتعلقة بحركات البناء والإعراب في الغالب، لذلك نجد أنهم لم يتحدثوا عن ظاهرة الإشمام.

^{٣٦٠} - انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ٣٠٩ - ٣١٠.

المطلب الثاني: الوقف على النون الخفيفة ألفا

تدخل نون التوكيد على الفعل؛ لتأكيده وتقويته في نفس المستمع، وتدخل على الفعل المضارع والأمر دون الماضي، والنون الخفيفة أقل توكيدا من الثقيلة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ

الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّن

الصَّغِيرِينَ﴾^{٣٦١}. فأكدت الأولى بالثقيلة؛ لقوة قصدها سجنه وشدة رغبتها فيه، وفي الثاني بالخفيفة؛

لعدم قصدها تحقيره وإهانته وعدم شدة رغبتها في ذلك، لما عندها من المحبة له^{٣٦٢}. وقد يقال: لعل التثقيب في " ليسجنن " جاء لقدرتها على سجنه، والتخفيف في " ليكونا " لعدم قدرتها على جعله من الصاغرين. وإذا وقفت على النون الخفيفة المفتوح ما قبلها أبدلت منها ألفا كقوله تعالى:

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾^{٣٦٣}. وعلى هذا الوجه من العربية انفرد رويس بتخفيف النون مع

سكونها في الوقف له على نذهبن من قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾^{٣٦٤}

فوقف عليها بالألف بعد الباء على أصل نون التأكيد الخفيفة، والباقون بالتشديد في الكل^{٣٦٥}.

والوقف على نون التوكيد الخفيفة بالألف وارد في العربية، كقول الأعشى^{٣٦٦}:

^{٣٦١} - يوسف ٣٢.

^{٣٦٢} - انظر: حاشية الصبان ٣ / ٢١٢، التعبير القرآني ١٦١.

^{٣٦٣} - العلق ١٥.

^{٣٦٤} - سورة الزخرف ٤١.

^{٣٦٥} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٣٤.

^{٣٦٦} - الصبح المنير في شعر أبي بصير ١٠٣.

وَذَا الثُّصْبِ الْمَنصُوبِ لَا تَسْكُنُهُ
وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهُ فَاعِبُدَا
أَيُّ أَرَادَ فَاعْبُدْنِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ كَانَ الْوَقْفُ بِالْأَلْفِ ^{٣٦٧}.

ومثلها قوله تعالى: "لَنَسْفَعَا" و "وَلَيَكُونَا" فَتُعْطِيَانِ فِي الْوَقْفِ حَكْمَ التَّنْوِينِ ^{٣٦٨}.
ومثله قول عمر بن ربيعة :

وقميرٌ بدا ابنَ خمسٍ وعشٍ نَ لَهُ قَالَتِ الْفَتَاتَانِ قُومًا ^{٣٦٩}.
أراد قومن.
وقال الآخر:

يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا شَيْخًا عَلَى كَرْسِيِّهِ مُعَمَّمًا ^{٣٧٠}
يريد ما لم يعلمن.

فهذه شواهد على صحة إبدال نون التوكيد الخفيفة ألفا ^{٣٧١}، وهذه القراءة وغيرها من الشواهد الشعرية تدل على العلاقة بين نون التوكيد الخفيفة والتنوين، والفرق الأساسي أنّ نون التوكيد تدل على التوكيد، بخلاف التنوين، والتنوين يكثر في الأسماء، والنون في الأفعال، ومما يدلّ على الشبه القوي بين النون والتنوين ما يلي:

وصف النون كالتنوين في كتابة الخط، ويقول ابن خالويه معلقا على قوله تعالى: { لنسفعا } :
"والنون نون التوكيد، وتكتب في الخط ألفا؛ لأنها كالتنوين" ^{٣٧٢}. ويقول ابن جني: "وإذا وقفت على

^{٣٦٧} — انظر: الكشف والبيان ٥ / ٢٢٠، أوضح المسالك ٤ / ١١٤.

^{٣٦٨} — انظر: اللباب في علل البناء والإعراب ٢ / ٧١.

^{٣٦٩} — انظر: ديوان عمر ابن أبي ربيعة ٢٥٣.

^{٣٧٠} — البيت لم أجد له نسبة انظر: الكتاب ٣ / ٥١٦، سر صناعة الإعراب ٣ / ٦٧٩، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب ١١ / ٤٣٤، شرح ابن عقيل ٣ / ٣١٠.

^{٣٧١} — ولم يعلق المفسرون على هذه الظاهرة الصوتية؛ لأنهم اعتنوا بالظواهر النحوية والصرفية والصوتية المتعلقة بالنحو أو الصرف.

^{٣٧٢} — إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ١٤٠.

النون الخفيفة أبدلت منها للفتحة قبلها ألفا تقول: يا زيد اضربا ويا عمرو قوما، فإن لقيها ساكن بعدها حذفت لالتقائهما^{٣٧٣} ويقول صاحب البحر المديد: " نون التوكيد الخفيفة كتبت بالألف؛ لشبهها بالتونين "^{٣٧٤}.

ومما يؤكد العلاقة [أيضا] بينهما أنها تحذف في الوقف إذا وقعت بعد غير فتحة – أي: بعد ضمة أو كسرة – ويرد حينئذ ما كان حذف؛ لأجل نون التوكيد، فتقول في: "اضربن يا زيدون" إذا وقفت على الفعل: اضربوا، وفي "اضربن يا هند": اضربي، فتحذف نون التوكيد الخفيفة للوقف، وتُردُّ الواو التي حُذفت؛ لأجل نون التوكيد وكذلك الياء. فإن وقعت نون التوكيد الخفيفة بعد فتحة أبدلت النون في الوقف [أيضا] ألفا، فتقول في "اضربن يا زيد": اضربا^{٣٧٥}. حالها كحال التونين فإنه يحذف في كل حالاته الإعرابية عند الوقف عليه، ويلفظ ألفا في النصب.

^{٣٧٣} – اللمع في العربية ٢٠١.

^{٣٧٤} – البحر المديد ٣ / ٣٧٨.

^{٣٧٥} – شرح ابن عقيل ٣ / ٣١٩.

المطلب الثالث: إخفاء النون عند الغين والحاء

حروف الإخفاء خمسة عشر حرفاً وهي: التاء، والثاء، والجيم، والذال، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والفاء، والقاف، والكاف^{٣٧٦}

والإخفاء عند أئمتنا هو حال بين الإظهار والإدغام. يقول الداني: " وذلك أنّ النون والتتوين لم يقربا من هذه الحروف كقربهما من حروف الإدغام فيجب إدغامهما فيهنّ من أجل القرب، ولم يبعدا منهن كبعدهما من حروف الإظهار فيجب إظهارهما عندهنّ من أجل البعد، فلما عدم القرب الموجب للإدغام والبعد الموجب للإظهار، أخفيا عندهن فصارا لا مدغمين ولا مظهرين، إلّا أنّ إخفاءهما على قدر قربهما منهنّ وبعدهما عنهنّ، فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا عنده"^{٣٧٧}.

وقد وقع الإخفاء عند غير حروف الإخفاء المتفق عليها بين علماء التجويد، من ذلك الإخفاء عند الغين والحاء. يقول ابن الجزري: حكم الغين والحاء مع النون والتتوين عند أبي جعفر الإخفاء؛ لأنه أجرى الغين والحاء مجرى حروف الفم، للتقارب الذي بينهما وبينهن، فصار مخرج النون والتتوين مع الغين والحاء كمخرجهما مع باقي الحروف يعني من الخيشوم^{٣٧٨}.

وورد الوجهان الإخفاء والإظهار في الغين والحاء عند أبي جعفر في بعض الكلمات وهي: المنخفة من قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّيَّتُكُمْ وَالِدُكُمْ وَلِحْمُ الْأَخْيَارِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ ﴾^{٣٧٩}، ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا ﴾^{٣٨٠}، ﴿ فَسَيَنْغُضُونَ ﴾^{٣٨١}، ففي هذه الآيات ورد الوجهان عن أبي جعفر الإظهار فوافق الجمهور بذلك، والإخفاء فوافق أصل قراءته وهو الإخفاء^{٣٨٢}.

^{٣٧٦} - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٢٦.

^{٣٧٧} - السابق ٢ / ٢٧.

^{٣٧٨} - انظر: السابق ٢ / ٢٧، إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٨٩، الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٥٣.

^{٣٧٩} - المائدة ٣.

والسبب في ورود الوجهين الإخفاء والإظهار عن أبي جعفر، قرب حرفي الغين والخاء من حروف الإخفاء، لذا أخفيت عنده، وقربها من حروف الإظهار؛ فلذا أظهرت في بعض الكلمات.

وإخفاء الغين والخاء لغة من لغات العرب، يقول سيبويه: " يقول بعض العرب منخلٌ ومنغلٌ فيخفي النون كما يخفيها مع حروف اللسان " ^{٣٨٣}. والسبب هو قرب مخرج الحرفين من اللسان ^{٣٨٤}.

وقد وقع خلاف بين القدماء والمحدثين في ترتيب مخرج الغين والخاء، والخلاف كائن في تقديم علماء اللغة المحدثين الغين والخاء على مخرج القاف، فجعلوا مع الكاف من مخرج واحد ^{٣٨٥}. أمّا القدماء فقدموا القاف والكاف على الغين والخاء، وجعلوهما من مخرج واحد، فالمحدثون يجعلون مخرج الغين والخاء من الطبقة اللينة مع مؤخرة اللسان فيقولون: الخاء والغين يتم إنتاجهما عن طريق تضيق المجرى بصورة تسمح بمرور الهاء مع حدوث احتكاك مسموع {استمراري}، ويفرق بين الخاء والغين أنّ الأولى مهموسة والثانية مجهورة ^{٣٨٦}.

والخلاصة أنّ ترتيب مخرج الغين والخاء عند علماء اللغة المحدثين مشترك مع الكاف، ومقدم على مخرج القاف، فعدّوا من حروف اللسان، ومن هنا جاز إخفاء الغين والخاء؛ لوجود القرب من النون، وجاز الإظهار؛ لقربهما من الحلق، ولوجود البعد من النون، فهما لم يقتربا فيخفيا مطلقا، ولم يبتعدا فيظهرا مطلقا، فتنازعهما القرب والبعد فأظهرا؛ لأنّهما أبعد حروف اللسان — وهذه

^{٣٨٠} — النساء ١٣٥.

^{٣٨١} — الإسراء ٥١.

^{٣٨٢} — انظر: النشر ٢ / ٢٢، الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة ٣٥٣.

^{٣٨٣} — الكتاب ٤ / ٤٥١، المفصل في صنعة الإعراب ٥٥٣، لسان العرب / نون.

^{٣٨٤} — انظر: الكتاب ٤ / ٤٥١، الحجة للقراء السبعة ٦ / ٣٠٣.

^{٣٨٥} — انظر: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ٦٢.

^{٣٨٦} — انظر: دراسة الصوت اللغوي ٣١٨.

لغة أكثر العرب – ، وبهذا قرأ الجمهور في جميع مواطن القرآن، وأخفيا؛ لوجود القرب من حروف اللسان، وبهذا قرأ أبو جعفر، والإخفاء لغة عن بعض العرب كما ذكر سيبويه أنف

المطلب الرابع: السكت

هو قطع الصوت زمنا دون زمن الوقف عادة من غير تنفس، قال الجعبري: هو قطع الصوت زمنا قليلا أقصر من زمن إخراج النفس؛ لأنه إن طال صار وقفا في عبارات أخر^{٣٨٧}.

وأما السكت عند قرائنا الثلاثة، فسكت أبو جعفر على جميع حروف الهجاء في فواتح السور، يقول شهاب الدين الدمياطي: "وأما السكت على الساكن ولا همزة بعده فقسمان: أصل مطرد، وهي حروف الهجاء الم، الر، المر، كعيهص، طه، طسم، طس، يس، ص، ق، ن، ويلزم منه إظهار المدغم والمخفي منها"^{٣٨٨}.

يقول الأخفش: هذه الحروف ساكنة؛ لأن حروف الهجاء لا تعرب بل يوقف على كل حرف على نية السكت^{٣٨٩}.

يقول الزجاج: "هذا باب حروف التهجي، وهي: الألف والباء والتاء والتاء وسائر ما في القرآن منها، فإجماع النحويين أن هذه الحروف مبنية على الوقف لا تعرب، ومعنى قولنا: "مبنية على الوقف" أنك تقدر أن تسكت على كل حرف منها، فالنطق: ألف، لام، ميم، ذلك، والدليل على أنك تقدر السكت عليها جمعك بين ساكنين في قولك: (لام)، وفي قولك: (ميم). والدليل على أن حروف الهجاء مبنية على السكت كما بني العدد على السكت أنك تقول: فيها بالوقف مع الجمع بين ساكنين، كما تقول: إذا عدت واحد اثنان ثلاثة أربعة، ولولا أنك تقدر السكت لقلت: ثلاثة بالتاء كما تقول: ثلاثا يا هذا فتصير الهاء تاء مع التتوين واتصال الكلام"^{٣٩٠}.

^{٣٨٧} — انظر: الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٣٤.

^{٣٨٨} — إتحاف فضلاء البشر ١ / ٨٨.

^{٣٨٩} — انظر: الكشف والبيان ١ / ١٣٨.

^{٣٩٠} — معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ / ٥٩.

ولا توصف بكونها مبنية أو معربة يقول أبو حيان: " {الم} أسماء مدلولها حروف المعجم؛ ولذلك نطق بها نطق حروف المعجم، وهي موقوفة الآخر، لا يقال: إنها معربة؛ لأنها لم يدخل عليها عامل فتعرب، ولا يقال: إنها مبنية لعدم سبب البناء، لكن أسماء حروف المعجم قابلة لتكوين العوامل عليها فتعرب تقول: هذه ألفٌ حسنة" ^{٣٩١}

فحروف التهجي حروف ساكنة، ولا توصف بكونها مبنية أو معربة، يوقف عليها بالسكت وعدمه، وجاءت قراءة أبي جعفر بالسكت عليها في جميع المواضع في القرآن، وجاءت قراءة الجمهور بترك السكت عليها.

^{٣٩١} - البحر المحيط / ١ / ١٥٤.

الفصل الثاني

المستوى النحوي

الفصل الثاني: المستوى النحوي.

كان القرآن الكريم وما زال المنبع الأول في إمداد علماء اللغة بجملة من القضايا النحوية؛ فلذلك أخذ النحويون يغيصون في أعماق هذا الكتاب؛ ليستخرجوا درره وجواهره، ومن المهم في درسنا النحوي في هذا الفصل الوقوف على انفرادات قرائنا الثلاثة، مبينين القضايا النحوية التي انفردوا بها عن بقية القراء، وموجهين تلك الانفرادات، وما تحمله من معان بلاغية، ووجوه نحوية، فتطلب منّا هذا الفصل أن نجعله في مباحث خمسة وهي:

المبحث الأول: المرفوعات من الأسماء.

المبحث الثاني: المنصوبات من الأسماء.

المبحث الثالث: المجرورات من الأسماء {المخفوضات}.

المبحث الرابع: الأدوات.

المبحث الخامس: الانتقال بين الأفعال وبين الفعل والاسم.

المبحث الأول: المرفوعات من الأسماء

لم ينفرد قراؤنا الثلاثة في جميع المرفوعات ، بل انفردوا في بعضها دون بعض، فخرج هذا المبحث على النحو الآتي:

المطلب الأول: المبتدأ والخبر {من النصب والجر إلى الرفع}.

المطلب الثاني: فاعل كان التامة {من النصب إلى الرفع}.

المطلب الثالث: التابع المرفوع {من النصب والجر إلى الرفع ، ومن الحرف إلى الاسم}.

المطلب الأول: المبتدأ والخبر { من النصب والجر إلى الرفع }.

جاء الرفع على الابتداء في الأسماء عند قارئنا أبي جعفر ويعقوب منفردين بمواضع عن بعضهما وعن بقية القراء، وعددها خمسة.

فقرأ أبو جعفر وحده: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^{٣٩٢} بالرفع فيها

ثلاثتها^{٣٩٣} ووافقه الحسن^{٣٩٤}. أما من رفع الثلاثة فإنه جعل لا غير عاملة ورفع ما بعدها بالابتداء، والخبر عن الجميع هو قوله: في الحج^{٣٩٥}.

وتفرد أبو جعفر فقرأ فواحدة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ

لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَتِلْكَ وَرَبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَانُكُمْ أَلَّا تَعُولُوا﴾^{٣٩٦}

بالرفع، وقرأ الباقيون فواحدة بالنصب^{٣٩٧}، وتوجيه فواحدة بالرفع، على الابتداء، وسوغ الابتداء بالنكرة اعتمادها على فاء الجزاء، والخبر محذوف أي: فواحدة كافية^{٣٩٨}.

^{٣٩٢} — البقرة ١٩٧.

^{٣٩٣} — انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ١٤٥.

^{٣٩٤} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٠١.

^{٣٩٥} — انظر: تفسير البحر المحيط ٢ / ٩٦، للباب في علوم الكتاب ٣ / ٣٩٦.

^{٣٩٦} — النساء ٣.

^{٣٩٧} — انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ١٧٥.

^{٣٩٨} — انظر: الدر المصون ٣ / ٥٦٦ — ٥٦٧، تفسير البحر المحيط ٣ / ١٧٢، التحرير والتنوير ٤ / ٢٢٦.

وقرأ يعقوب {والأنصار} في قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ يَاحْسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٩٩﴾ برفع الراء على أنه مبتدأ خبره رضي الله عنهم، أو عطف

على " والسابقون "، والباقون بالخفض عطفا على المهاجرين ٤٠٠.

وهذا ما يسميه علماء اللغة بالقطع النحوي، يقول العكبري: " إذا تَكَرَّرت النعوت جاز حمل الجميع على الموصوف وهو الظاهر، وجاز نصبها بإضمار أعني، ورفعها على إضمار هو، ودلّ هذا الإضمار على زيادة المدح والدم؛ لأنه يصير بذلك جملة مستقلة " ٤٠١، وجاء القطع هنا؛ لزيادة المدح في الأنصار؛ لبيان فضلهم، وهم الذين قال فيهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -: " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنَّ النَّاسَ لَوْ سَلَكُوا وَاذِيًّا وَسَلَكْتُمْ وَاذِيًّا لَسَلَكْتُ وَاذِيَّ الْأَنْصَارِ " ٤٠٢.

وقرأ يعقوب {ربنا باعد} في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ ٤٠٣﴾ بضم الباء على

الابتداء، وبعاد بالألف بعد الباء { فعل ماض }، والباقون { ربنا } بالنصب { باعد } بالألف وكسر

٣٩٩ - التوبة ١٠٠.

٤٠٠ - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٠٦، المحرر الوجيز ٣ / ٨٣، اللباب في علوم الكتاب ١٠ / ١٨٥

٤٠١ - اللباب في علل البناء والإعراب ١ / ٤٠٧.

٤٠٢ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٨ / ٣٥٦.

٤٠٣ - سبأ ١٩.

العين وسكون الدال { فعل أمر }^{٤٠٤}. والبعد البلاغي هو خبر على أنه شكوى منهم، لبعد سفرهم
إفراطاً في الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم، وقراءة الجمهور على الدعاء.

وقرأ رويس عن يعقوب جزاء الضعف في قوله تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ

فِي الْعُرْفَتِ ءَأَمْنُونَ ﴾^{٤٠٥} بنصب جزاء على الحال من الضمير المستقر في الخبر المقدم مع
التنوين وكسره وصلاً، ورفع الضعف بالابتداء، كقولك: في الدار قائماً زيد، والتقدير لهم الضعف
جزاء، والباقون برفع جزاء وخفض الضعف بالإضافة^{٤٠٦}.

أما بخصوص خبر المبتدأ فهو الجزء الذي حصلت به الفائدة مع المبتدأ^{٤٠٧}. فلم نجد عند قرائنا
سوى تفرد واحد عند أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا

أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾^{٤٠٨}، فاختلف في " سواء " فقرأ أبو جعفر بالرفع خبر المبتدأ
مضمر أي: هي سواء، والباقون بالنصب على المصدر بفعل مقدر أي: استوت استواء، أو على
الحال من ضمير أقواتها^{٤٠٩}.

^{٤٠٤} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٦٠ — ٤٦١، تفسير البحر المحيط ٧ / ٢٦٢، الباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٩.

^{٤٠٥} — سيأ ٣٧.

^{٤٠٦} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٦٠، الكشف والبيان ٨ / ٩١، تفسير البحر المحيط ٧ / ٢٧٣.

^{٤٠٧} — انظر: أوضح المسالك ١ / ١٧٦.

^{٤٠٨} — فصلت ١٠.

^{٤٠٩} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٨٨، تفسير البحر المحيط ٤ / ٤٦٥، الكشف والبيان ٧ / ٢٨٧.

المطلب الثاني: فاعل كان التامة {من النصب إلى الرفع}.

لم ينفرد أحد من الثلاثة بإتمام كان إلا أبو جعفر في موضع واحد فقراً: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً

وَحِدَةً﴾^{٤١٠}. برفعهما على أنّ كان تامّة أي: ما حدثت أو وقعت إلا صيحة^{٤١١}.

فقراءة العامة على أنّ " كان " ناقصة واسمها ضمير الأخذ؛ لدلالة السيّاق عليها و " صَيِّحَةً " خبرها، وأبو جعفر برفعها على أنّها التامة أي: إن وقعَ وَحَدَتْ، وصيحة فاعلها^{٤١٢}. وكنّا القراءتين الاستثناء فيهما مفرّغ .

وفي هذه القراءة شاهد من شواهد النحو العربي على جواز إلحاق علامة التأنيث للفعل عندما يفصل بينه وبين فاعله بإلا.

^{٤١٠} - يس ٢٩ - ٤٩.

^{٤١١} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٦٦، تفسير البحر المحيط ٧ / ٣١٧.

^{٤١٢} - انظر: تفسير البحر المحيط ٧ / ٣١٧، اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٢٠٠.

المطلب الثالث: التابع للمرفوع { من النصب والجر إلى الرفع، ومن الحرف إلى الاسم }.

وتفرد أبو جعفر ويعقوب فقرأ كلّ منهما برفع التابع في الصفة والعطف فقط، فخالف كل واحد منهم بقية القراء.

أمّا الصفة المرفوعة فتفرد بها أبو جعفر في موطن واحد، فقرأ أبو جعفر: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً﴾^{٤١٣} برفعهما على أنّ كان تامة أي ما حدثت أو وقعت إلا صيحة واحدة^{٤١٤}، فواحدة صفة لصيحة فارتفعت بذلك.

وتفرد يعقوب في الصفة المرفوعة في موطنين الأول: في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾^{٤١٥} بالرفع والتتوين في " علي " ^{٤١٦}. فجعله نعنا للصراط^{٤١٧}. والمعنى من العلو والشرف والرفعة. وقراءة الجمهور بحرف الجر على، والمعنى كما قال الكسائي: هذا على

^{٤١٣} — يس ٢٩ — ٤٩.

^{٤١٤} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٦٦، تفسير البحر المحيط ٧ / ٣١٧.

^{٤١٥} — الحجر ٤١.

^{٤١٦} — انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٢٦٠.

^{٤١٧} — انظر: معاني القرآن للفراء ٢ / ٨٩.

الوعيد فإنه تهديد كقولك للرجل خاصمته وتهده: طريقك عليّ، كما قال الله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ

لِيَالْمَرْصَادِ﴾^{٤١٨} فكان معنى الكلام: هذا طريقٌ مرجعه إليّ فأجازي كلا بأعمالهم .

والثاني: عشر في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^{٤١٩} عشرٌ بالتثوين، أمثالها

بالرفع صفة لعشر، أي: فله عشرٌ حسناتٍ مماثلة للحسنة التي جاء بها^{٤٢٠}.

أما العطف على المرفوع

فتفرد يعقوب عن بقية القراء في موطن واحد في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا

هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾^{٤٢١}. برفع أكثر

عظفا على محل نجوى؛ لأنه مجرور بمن الزائدة للتأكيد، والباقون بالفتح مجرورا على لفظ
نجوى، ووجود الفتح؛ لأنها ممنوعة من الصرف^{٤٢٢}.

^{٤١٨} - الفجر ١٤ .

^{٤١٩} - الأنعام ١٦٠ .

^{٤٢٠} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٧٨، تفسير البحر المحيط ٤ / ٢٦١، الباب في علوم الكتاب ٨ / ٥٣٣، التحرير والتنوير ٨ / ١٩٦ .

^{٤٢١} - المجادلة ٧ .

^{٤٢٢} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٣٥ .

وقراءة الرفع فيها وجهان، أحدهما: أنه معطوفٌ على موضع نَجْوَى؛ لأنه مرفوعٌ، ومِنْ مزيدةٌ فيه. والثاني: أن يكون أدنى مبتدأ، وإلا هُوَ مَعَهُمْ خبرُهُ، فيكون ولا أكثرُ عطفًا على المبتدأ، وحينئذ يكون ولا أدنى من باب عطفِ الجملِ لا المفرداتِ^{٤٢٣}.

أما ثمرة هذا الخلاف، فإنَّ العرب تلوّن الكلام وتغيّر الإعراب عند إطالة الكلام والنسق، ففي قوله تعالى: " وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ " قال أبو عبيدة: نَصَبَهَا على تطاول الكلام، ومن شأن العرب أن تغيّر الإعراب إذا طال الكلام والنسق^{٤٢٤}.

^{٤٢٣} — انظر: تفسير البحر المحيط ٨ / ٢٣٤.

^{٤٢٤} — انظر: مجاز القرآن ١ / ٦٥.

المبحث الثاني: المنصوبات

تفرد أبو جعفر ويعقوب ببعض المنصوبات^{٤٢٥} عن بقية القراء، وجاءت في أربعة مطالب هي:

المطلب الأول: المنادى { من النصب إلى البناء }.

المطلب الثاني: الحال { من الجملة إلى المفرد }.

المطلب الثالث: التابع المنصوب { من الرفع إلى النصب }.

المطلب الرابع: حذف المضاف^{٤٢٦}.

^{٤٢٥} — المنصوبات خمسة عشر، وهي: المفعولُ بهِ، والمصدرُ، وظرفُ الزمان، وظرفُ المكان، والحال، والتمييزُ، والمستثنى، واسم لا، والمنادى، والمفعول من أجله، والمفعولُ معه، وخبرُ كان وأخواتها، واسم إن وأخواتها، والتابعُ للمنصوب، وهو أربعة أشياء: النَّعْتُ، والعطفُ، والتوكيدُ، البدلُ، انظر: التحفة السنية شرح المقدمة الأجرومية ١٢٨.

^{٤٢٦} — لم يعد علماء اللغة حذف المضاف من المنصوبات، وإنما ذكرت ذلك تابعا لها.

المطلب الأول: المنادى { من النصب إلى البناء }.

يقتصر حديثنا في المنادى، على المنادى المضاف للياء؛ لأنّ قارئنا أبا جعفر انفرد به فقراً:

﴿ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾^{٤٢٧} بضم باء ربّ، وحذف الألف في

قال، وقرأ الباقون: " رَبُّ أَحْكُم " بكسر الباء^{٤٢٨}.

ويشير سيوييه لهذا الحذف في باب إضافة المنادى إلى نفسك، فيقول: لم يكونوا ليثبتوا حذفها إلا في النداء، وكانت الياء حقيقةً بذلك لما ذكرت لك إذ حذفوا ما هو أقلّ اعتلالاً في النداء،

وذلك قولك: يا قوم لا بأسَ عليكم، وقال الله جل ثناؤه: ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾^{٤٢٩} ويقول صاحب البحر:

" قرأ أبو جعفر رَبُّ بالضم، قال صاحب اللوامح: على أنه منادى مفرد، وحذف حرف النداء فيما جاز أن يكون وصفاً لأيّ بعيد بابه الشعر انتهى. وليس هذا من نداء النكرة المقبل عليها بل هذا من اللغات الجائزة في يا غلامي، وهي أن تبنيه على الضم وأنت تتوي الإضافة لما قطعته عن الإضافة وأنت تريدها بنيته، فمعنى رَبِّ يا ربي^{٤٣٠}. وبعض العرب يقول: يا رَبُّ اغفر لي، ويا قوم لا تفعلوا، وثبات الياء فيما زعم يونس في الأسماء^{٤٣١}.

^{٤٢٧} - الأنبياء ١١٢.

^{٤٢٨} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٣٠٣.

^{٤٢٩} - الزمر ١٦.

^{٤٣٠} - انظر: تفسير البحر المحيط ٦ / ٣١٩.

^{٤٣١} - انظر: الكتاب ٢ / ٢١٠.

والخلاصة هي: أنّ المنادى المضاف فيه ست لغات، وهذه لغة مَنْ يكتفي من الإضافة بنيتها، ويضم الاسم كما تُضمُّ المفردات، وإِثْمَا يفعل ذلك فيما يكثر فيه أنْ لا يُنادى إلا مُضَافاً كقول

بعضهم: يَا أُمَّ لَا تَفْعَلِي، وقراءة: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾^{٤٣٢} بضم الباء {ربُّ} ^{٤٣٣}.

^{٤٣٢} — يوسف ٣٣.

^{٤٣٣} — انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ٣٨.

المطلب الثاني: الحال { من الجملة إلى المفرد }.

يكون الحال مفرداً وجملة، وهو ما وقع الخلاف بين قارئنا يعقوب والجمهور، فيعقوب قرأ:
حَصِرَةٌ صُدُورُهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ^{٤٣٤} فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ

فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ فَأَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا^{٤٣٤}، بنصب التاء منونة على

الحال المفرد بوزن تَبِعَةٌ ووافقه الحسن، والباقون بسكون التاء فعلاً ماضياً^{٤٣٥}.

وفي جملة " حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ " سبعة أوجه:

أحدها: أنه لا محلّ لهذه الجملة، بل جيء بها للدُّعاء عليهم. والثاني: أن " حَصِرَتْ " حالٌ من فاعل " جاءوكم "، بإضمار قد^{٤٣٦}. والثالث: أن " حَصِرَتْ " صفةٌ لحالٍ محذوفة، تقديره: أو جاءوكم قوماً حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ رجالاً حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ. والرابع: أن يكون في محلّ جرّ صفةٍ لِقَوْمٍ بعد صِفة، و " أو جاءوكم " مُعْتَرِضٌ. والخامس: أن يكون بدلاً من " جاءوكم " بدلَ اشْتِمَالٍ. والسادس: أنه خبرٌ بعد خَبَرٍ. والسابع: أنه جواب شرطٍ مُقَدَّرٍ^{٤٣٧}.

وتوجه " حَصِرَةٌ " نَصْباً على أنها حال على وزن نَبِقة، وهذه القراءة تؤيد كون جملة " حَصِرَتْ " يجوز أن توجه على الحال، وهي قراءة الجمهور^{٤٣٨} وقد يسأل سائل كيف جاء الفعل الماضي

^{٤٣٤} - النساء ٩٠.

^{٤٣٥} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٤٤.

^{٤٣٦} - انظر: الكشف ٢ / ١٢٤.

^{٤٣٧} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ٦ / ٥٥٣.

^{٤٣٨} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ٦ / ٥٥٣، تفسير البحر المحيط ٣ / ٣٣٠.

{حصرت} غير مسبوق بقْد؟ الإجابة أنّها جاءت على إضمار قَد، وهذا قول جمهور البصريين^{٤٣٩} وممّا يقوي أنّ حصرت جملة في محل نصب حال قراءة الحسن: حصراتٍ، وقرئ: حاصراتٍ، وكلاهما حال. وقرئ: حصرة بالرفع على أنّه خبر مقدم، أي: صدورهم حصرة، وهي جملة اسمية في موضع الحال،^{٤٤٠}. والتوجيهات الماضية جيدة محتملة.

أمّا ثمرة هذا الخلاف، فقد جاءت قراءة يعقوب مرجحة لمن وجّه حصرة على الحال، فهو بيان لحال مجيء بني مدلج لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – غير مقاتلين والحصر والضيق والانقباض فاش في صدورهم وقابض عليها^{٤٤١}.

^{٤٣٩} – انظر: اللباب في علوم الكتاب ٢٠ / ١٤٥.

^{٤٤٠} – انظر: تفسير البحر المحيط ٣ / ٣٠٣.

^{٤٤١} – انظر: الكشاف ٢ / ١٢٤.

المطلب الثالث: التابع المنصوب { من الرفع إلى النصب }.

لم يقرأ قراؤنا بالتابع المنصوب إلّا في موضع واحد، تفرد به يعقوب، وهو في قوله تعالى:

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^{٤٢}، فقرأ يعقوب بنصب كلّ

على البدل من " كلّ أمة " الأولى بدل نكرة موصوفة من مثلها، والباقون بالرفع على الابتداء وتُدعى خبرها^{٤٣}.

والمتأمل في الرفع يجد أنّ هذا إخبار من الله بأنّ كلّ أمة تدعى إلى كتابها، أمّا البدل فانه عز وجلّ يخاطب النبي — صلى الله عليه وسلم — بأنّه سيرى كلّ الأمم جائية، وسيرها حين تدعى إلى كتابها.

^{٤٢} — الجائئة ٢٨.

^{٤٣} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٠٢، تفسير البحر المحيط ٨ / ٥٠، اللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٣٧٠.

المطلب الرابع: حذف المضاف

ورد حذف المضاف في القرآن والشعر وفصيح الكلام، وربما حذفت العرب المضاف بعد المضاف مكرراً، كقوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾^{٤٤٤}. أي: من أثر حافر فرس الرسول^{٤٤٥}.

ويحذف المضاف قرأ أبو جعفر وحده بما حَفِظَ اللَّهُ بالنصب في قوله تعالى: ﴿فَالصَّادِقَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظَتْ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾^{٤٤٦}، وقرأ الباقون "بما حَفِظَ اللَّهُ" بالرفع^{٤٤٧}. وفي {ما} ثلاثة أوجه على قراءة أبي جعفر، أحدها: أنها بمعنى الذي، وفي حفظ ضمير مرفوع، والمعنى حافظات للغيب بطاعة وخوف وبر ودين وحفظ الله في أوامره حين امتثلنها والثاني: نكرة موصوفة، وفي حَفِظَ ضميرٌ يعود على ما، أي: بما حَفِظَ من البر والطاعة. ولا بدّ من حذف مضافٍ تقديره: بما حفظ دين الله أو أمر الله؛ لأنَّ الذات المقدسة لا يحفظها أحد. والثالث: أن تكون ما مصدرية، والمعنى بحفظهنَّ الله في امتثال أمره { وهذا تفسير إعراب }، وساغ عودُ الضمير مفرداً على جمع الإناث؛ لأنَّهنَّ في معنى الجنس، كأنه قيل: مِمَّنْ صَلَّحَ، فعادَ الضميرُ مفرداً بهذا الاعتبار^{٤٤٨}. والتوجيهات الماضية كلها صحيحة قوية، وما جاءت هذه التوجيهات إلا عندما اختلفت القراءة.

^{٤٤٤} - طه ٩٦.

^{٤٤٥} - المحتسب ١ / ١٨٨.

^{٤٤٦} - النساء ٣٤.

^{٤٤٧} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ١٧٩.

^{٤٤٨} - انظر: الدر المصون ٣ / ٦٧١، تفسير البحر المحيط ٣ / ٢٥٠، المحرر الوجيز ٢ / ٥٨.

المبحث الثالث: المخفوضات أو المجرورات.

المَخْفُوزَاتُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٌ مَخْفُوزٌ بِالْحَرْفِ، وَمَخْفُوزٌ بِالِضَافَةِ، وَتَابِعٌ لِمَخْفُوزٍ، غَيْرَ أَنْ قَارِئِنَا لَمْ يَنْفَرِدَا إِلَّا بِالتَّابِعِ لِلْمَخْفُوزِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، مَوْضِعَيْنِ فِي الصِّفَةِ الْمَخْفُوزَةِ، وَمَوْضِعٍ فِي الْعَطْفِ عَلَى الْمَخْفُوزِ.

ففي خفض الصفة قرأ يعقوب: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ

أَيَّامٍ سِوَاءَ السَّائِلِينَ﴾^{٤٤٩}، سواءٍ بالخفض، وقرأ الباقر بن النصب، قرئت بالخفض على نعت الأيام في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ السَّائِلِينَ^{٤٥٠}.

وقرأ أبو جعفر "مستقر" في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ

مُسْتَقَرٌّ﴾^{٤٥١} بـخفض الراء في مستقر صفة لأمر، وتقدير الخبر بالغوه، والباقر بالرفع خبر كل^{٤٥٢}.

والتابع المخفوض الآخر كان في العطف، فقرأ أبو جعفر: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي

ظُلُمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^{٤٥٣}. فخفض "الملائكة"، وقرأ الباقر "والملائكة" رفع بالعطف على لفظ الجلالة الله.^{٤٥٤}

^{٤٤٩} - فصلت ١٠.

^{٤٥٠} - انظر: المحرر الوجيز ٥ / ٦، تفسير البحر المحيط ٧ / ٤٦٥.

^{٤٥١} - القمر ٣.

^{٤٥٢} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٢٤، تفسير البحر المحيط ٨ / ١٧٢، اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٢٣٢.

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: العطف على ظلل، أي: إلا أن يأتيهم الله في ظللٍ وفي الملائكة، وثانيها: العطف على الغمام أي: من الغمام ومن الملائكة، فتوصف الملائكة بكونها ظللاً على التشبيه، وعلى الحقيقة، فيكون المعنى يأتيهم أمر الله وآياته، والملائكة يأتون؛ ليقوموا بما أمروا به من الآيات والتعذيب، أو غيرهما من أحكام يوم القيامة^{٤٥٥}. وثالثها: الجر على المجاورة، ويكون المعنى كمعنى قراءة الجمهور.

ويرجح النيسابوري أن أبا جعفر قرأ بالخفض: عطفاً على الغمام وتقديره مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر أي مع العسكر^{٤٥٦}.

والراجح هو أن الملائكة بالخفض معطوفة على الغمام، والتقدير مع الملائكة، كما تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي مع العسكر، ولأنّ الملائكة يأتون؛ ليقوموا بما أمروا به من الآيات والتعذيب، أو غيرهما من أحكام يوم القيامة، وعطفها على ظلل متكلف بعيد لا معنى له؛ لأنّ الكلام يصبح حينئذٍ إلا أن يأتيهم في ظلل وفي الملائكة، أمّا الجر على المجاورة فقليل وقوعه ومختلف فيه.

^{٤٥٣} — البقرة ٢١٠.

^{٤٥٤} — انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ١٤٥.

^{٤٥٥} — انظر: اللباب في علوم الكتاب ٣ / ٤٨٢ — ٤٨٣.

^{٤٥٦} — انظر: الكشف والبيان ٢ / ١٢٩، الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٥.

المبحث الرابع: الأدوات

نشأ علم معاني الأدوات العربية وإعرابها وترعرع في محيط تفسير القرآن وأوجه القراءات القرآنية، إذ حرص المفسرون واللغويون أن يكشفوا عن معنى الأداة وإعرابها في الآيات القرآنية، ويختلف هذا المعنى للأداة الواحدة باختلاف إعرابها وعملها، والسبب في ذلك هو تنوع الأوجه القرآنية للكلمة الواحدة، وقد توافرت للنحاة مادة غزيرة في القراءات القرآنية، وسنسلط الضوء في هذا المبحث على الأدوات وعملها فيما انفرد به القارئان أبو جعفر ويعقوب كلٌّ منهما عن أخيه وعن البقية، وخرج هذا المبحث في عدة مطالب هي:

المطلب الأول: إنَّ وأخواتها { بين كسر الهمزة وفتحها، وبين تشديد النون وتخفيفها }.

المطلب الثاني: أدوات الجزم { لام الامر وجواب الطلب }.

المطلب الثالث: إنا { من الاستثناء إلى الجر }

المطلب الرابع: معاني الواو { بين الاستئناف والعطف }.

المطلب الأول: إنّ وأخواتها بين كسر الهمزة وفتحها، وبين تشديد النون

وتخفيفها.

أولاً: فتح همزة " إنّ "

قرأ أبو جعفر {إنّه} بفتح الهمزة في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ

الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾^{٤٥٧} والباقيون بكسر الهمزة^{٤٥٨}. فقراءة

الجمهور على كسر الهمزة أنّها للاستئناف لا غير، وأمّا قراءة الفتح عند أبي جعفر ففيها التوجيهات الآتية:

أولها: أنّ تكون فاعلاً بما نصب حقاً، أي: حَقَّ حَقًّا بَدَأَ الخلق، ثم إعادته، وهو مذهبُ الفراء فإنّه قال: والتقدير: يحقُّ أنّه يبدأ الخلق^{٤٥٩}.

ثانيها: أنّه منصوبٌ بالفعل الذي نَصَبَ وعد الله أي: وَعَدَّ اللهُ تعالى بَدَأَ الخلق ثم إعادته، والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه.

ثالثها: أنّه على حَذْفِ لام الجر أي: لأثّه^{٤٦٠}.

رابعها: أنّه بدلٌ من وَعَدَّ اللهُ^{٤٦١}.

^{٤٥٧} - يونس ٤.

^{٤٥٨} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٠٩، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٢٣٢.

^{٤٥٩} - انظر: الدر المصون ٦ / ١٤٨.

^{٤٦٠} - انظر: المحتسب ١ / ٣٠٧، الكشاف ٣ / ١١٥.

^{٤٦١} - انظر: المحرر الوجيز ٣ / ١١٨.

خامسها: أنه مرفوعٌ بنفسِ حقاً أي: بالمصدر المنون، وهذا إنما يتأتى على جعلِ حقاً غيرَ مؤكدٍ؛ لأنَّ المصدرَ المؤكداً لا عملَ له إلا إذا ناب عن فعله^{٤٦٢}.

سادسها: أن يكونَ حقاً مشبهاً بالظرف خبراً مقدماً، وأنه في محلِّ رفع مبتدأ مؤخر كقولهم: أحقاً أنك ذاهب، قالوا: تقديره: أفي حق ذهابك^{٤٦٣}.

وجميع الوجوه السابقة محتملة قوية، ولم نحصل على هذه التوجيهات اللغوية، إلا عندما اختلفت قراءة أبي جعفر عن قراءة الجمهور، والمتأمل في كلِّ توجيهٍ من هذه التوجيهات يجد في معناه اختلافاً عن بقية المعاني.

^{٤٦٢} — انظر: الدر المصون ٦ / ١٤٩، معاني القرآن للفراء ١ / ٤٥٧.

^{٤٦٣} — انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٠ / ٢٦٢.

ثانيا: كسر همزة " إن "

قرأ يعقوب وأبو جعفر بكسر همزة أن في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ

أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^{٤٦٤} مخالفين بقية القراء، وهذا أحد موضعين اتفق فيه

يعقوب وأبو جعفر، وقراءتهما على تقدير إن جواب لو لقلت: إن القوة لله في قراءة الخطاب، ويحتمل أن تكون على الاستئناف، والباقون بفتحهما، والتقدير: لعلمت أن القوة لله ولعلموا^{٤٦٥}.

وفي قراءة الجمهور أوقعت "يرى" على "أن القوة لله وأن الله" وجوابه متروك، ومثله وقوله:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهِ الْمَوْتُ﴾^{٤٦٦}، وترك الجواب في

القرآن كثير؛ لأن معنى الجنة والنار مكرر معروف، ويرى في قراءة الجمهور بمعنى يعلم، أي: لو يعلمون حقيقة قوة الله، فيرى واقعة على أن، وجواب لو محذوف، أي: لتبينوا ضرر اتخاذهم

الآلهة، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيِّنَا نُرْدُ وَلَا نَكْذِبُ بِحَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ

تَكْفُرُونَ﴾^{٤٦٧} ولم يأت للو جواب. قال الزهري وقتادة: الإضمار أشد للوعيد^{٤٦٨}.

^{٤٦٤} — البقرة ١٦٥.

^{٤٦٥} — إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٩٧.

^{٤٦٦} — الرعد ٣١.

^{٤٦٧} — الأنعام ٢٧ — ٣٠.

^{٤٦٨} — معاني القرآن للفراء ١ / ٩٧ — ٩٨، إعراب القرآن للنحاس ١ / ٢٧٧.

وقراءة أبي جعفر ويعقوب بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف، والكلام تام عند قوله: يرون العذاب مع إضمار الجواب، وتقديره لاستعظمت حالهم. وإنما كُسِرَتْ " إِنْ "، " لِأَنَّ فِيهَا مَعْنَى التعليل، نحو قولك: لو قَدِمْتَ على زيدٍ، لأَحْسَنَ إِلَيْكَ، إِنَّهُ مُكْرَمٌ لِلضَّيْفَانِ، فقولك: إِنَّهُ مُكْرَمٌ لِلضَّيْفَانِ عِلَّةٌ لقولك: أَحْسَنَ إِلَيْكَ، أو على تقدير لقلت: إِنْ القُوَّةَ لله جميعاً^{٤٦٩}.

وقرأ أبو جعفر قوله تعالى: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^{٤٧٠} بكسر الهمزة في أنما، وقرأ الباقون " إِنْ أَنَّمَا " بفتح الهمزة فيها^{٤٧١}.

وتوجيه " إِنْما " على أنها القائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كأنه قيل: ما يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا هذه^{٤٧٢}.

قال الزمخشري: إِنْما أنا نذير على الحكاية أي: إِنْما هذا القولُ وهو أن أقولَ لكم: إِنْما أنا نذيرٌ مبينٌ ولا أدعي شيئاً آخر^{٤٧٣}، قال الشيخ {أبو حيان}: وفي تخريجه تعارضٌ؛ لأنه قال: إِنْما هذا القولُ، فظاهره الجملة التي هي: " أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ "، ثم قال: وهو أن أقولَ لكم إِنْما نذيرٌ فالمقام مقامُ الفاعل هو أن أقولَ لكم، وإِنِّي وما بعده في موضع نصبٍ، وعلى قوله: إِنْما هذا القولُ يكون في موضع رفع فتعارضاً^{٤٧٤}، ويقول السمين الحلبي: ولا تعارضَ البتة؛ لأنه تفسيرٌ معنى في التقدير الثاني، وفي الأول تفسير إعرابٍ، فلا تعارضَ^{٤٧٥}.

^{٤٦٩} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ٣ / ١٤٠.

^{٤٧٠} - ص ٧٠.

^{٤٧١} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٣٨١.

^{٤٧٢} - انظر: معالم التنزيل ٧ / ١٠١، الكشف والبيان ٨ / ٢١٦، اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٥٢.

^{٤٧٣} - انظر: الكشف ٥ / ٢٨٠.

^{٤٧٤} - انظر: تفسير البحر المحيط ٧ / ٣٩١.

^{٤٧٥} - انظر: الدر المصون ٩ / ٣٩٦ - ٣٩٧.

فالأرجح ما رجحه السمين بأنه لا تعارض في قول الزمخشري؛ فيكون قد توافقوا في توجيه الآية بأنَّ أئمةَ مقامِ الفاعل على سبيل الحكاية، كأنه قيل: ما يُوحى إليَّ إلاَّ هذه الجملة المتضمنة لهذا الإخبار وهي " إئمة أنا نذير مبين " .

ثالثاً: تخفيف نون إن وأخواتها

اقتصر التخفيف في نون إن وأخواتها على حرفين هما: أن، ولكن، فقرأ يعقوب بإسكان أن في موضع واحد من قوله تعالى: ﴿ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^{٤٧٦} غَضِبُ بفتح الصاد ورفع الباء وجر هاء الجلالة، فيكون إعراب غَضِبُ مبتدأ مضاف إلى فاعله، والظرف بعده خبره^{٤٧٧}.

وقراءة تخفيف " أن " و " غَضِبُ اللهُ " بالرفع على الابتداء، والظرف بعده خبره، والجملة خبر " أن " ^{٤٧٨}.

وهذه خلاصة القراءات الواردة في هذه الآية.

فمن قرأ بنصب "الخامسة" فهي عطف على ما قبلها من المنصوب وهو "أربع شهادات" و من قرأ بالرفع فهو على الابتداء، وما بعده من " أن " وما في حيزها الخبر. أما " أن " وما في حيزها فعلى قراءة الرفع يكون في محل رفع خبر للمبتدأ كما تقدم. وعلى قراءة النصب يكون على إسقاط الخافض، ويتعلق الخافض بذلك الناصب ويكون التقدير: ويشهد الخامسة بأن لعنة الله، وبأن غضب الله. وقرأ نافع بتخفيفها في الموضعين، إلا أنه يقرأ: " غَضِبَ اللهُ " يجعل " غَضِبَ " فعلاً ماضياً، والجلالة فاعله^{٤٧٩}.

^{٤٧٦} - النور ٩.

^{٤٧٧} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٠٩.

^{٤٧٨} - انظر: تفسير البحر المحيط ٦ / ٣٩٩، اللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٣١١.

^{٤٧٩} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٣٠٩.

أما الحرف لكن فقد قرأ أبو جعفر بتشديد النون في: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^{٤٨٠} فالموصول محله

النصب، والباقون بالتخفيف، أما توجيهها فعلى قراءة الجمهور: الموصول رُفِعَ بالابتداء، وعلى قراءة أبي جعفر في محل نصب، ووقعت لكن هنا أحسن موقع، فإنها وقعت بين ضدين: وذلك أن معنى الجملتين التي قبلها والتي بعدها أيلٌ إلى تعذيب الكفار وتعظيم المتقين، ووجه الاستدراك أنه لما وصَفَ الكفار بقلّة نفع تَقْلُبُهُمْ فِي التِّجَارَةِ وتصرفهم في البلاد؛ لأجلها جاز أن يَتَوَهَّمَتْهُمْ أَنْ التِّجَارَةَ متصفةً بذلك، فاستدرك أن المتقين وإن أخذوا في التجارة لا يضرُّهم ذلك وأن لهم ما وعدهم به^{٤٨١}.

^{٤٨٠} — آل عمران ١٩٨، وفي الزمر ٢٠.

^{٤٨١} — انظر: الدر المصون ٣ / ٥٤٥، ٦ / ١٣٠.

المطلب الثاني: أدوات الجزم { لام الامر وجواب الطلب }.

وقع الجزم في قراءة صاحبنا أبي جعفر متقدداً به عن بقية القراء بعد لام الأمر، وفي جواب الطلب، فقرأ بلام الأمر قوله تعالى: ﴿وَلِصْنَعِ عَلِيٍّ عَمِيٍّ﴾^{٤٨٢}. بسكون اللام وجزم العين على أن اللام للأمر، والفعل مجزوم بها، والباقون بكسر اللام ونصب الفعل بأن مضمرة بعد لام كي أي: لتربّ ويحسن إليك^{٤٨٣}. أمّا توجيه " وَلِصْنَعِ " بسكون اللام والعين وضم التاء فهو أمرٌ معناه: ليُربَّ وليُحسَّن إليك^{٤٨٤}. فبقراءة النصب والجزم لا يختلف المعنى.

وقرأ { لا نخلفه } جواب الطلب في قوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾^{٤٨٥} بجزم الفاء، وقرأ الباقون: " لا نُخْلِفُهُ " بالرفع^{٤٨٦}. فبقراءة الجزم جواب الطلب، وقراءة الجمهور برفعها صفة لموعد^{٤٨٧}.

^{٤٨٢} - طه ٣٩.

^{٤٨٣} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٨٣.

^{٤٨٤} - انظر: المحرر الوجيز ٤ / ٥٦، اللباب في علوم الكتاب ١٣ / ٢٣٩.

^{٤٨٥} - طه ٥٨.

^{٤٨٦} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٢٩٥، إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٨٤.

^{٤٨٧} - انظر: تفسير البحر المحیط ٦ / ٢٣٦، المحرر الوجيز ٤ / ٦٠، اللباب في علوم الكتاب ١٣ / ٢٨٥.

المطلب الثالث: إنا { من الاستثناء إلى الجر }

انفرد قارئنا يعقوب بحرف واحد من حروف الجر فقرأ قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾^{٤٨٨} بتخفيف اللام على أنها حرف جر، ووافقه الحسن والمطوعي، وقرأ الباقيون بتشديدها على أنها حرف استثناء، والمستثنى منه محذوف^{٤٨٩}.

وتوجيه قراءة يعقوب عند الفراء بمنزلة حتى، أي حتى تَقَطَّعَ^{٤٩٠} أي أنها على الغاية^{٤٩١}.

فالمعنى في قراءة الجمهور ويعقوب هو أن هدمَ مسجد ضرار لا يزال سبب شكِّ، ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم، لا يزول وسمُّه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره، إلا أن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ قطعاً وتفرق أجزاء، فحينئذٍ يُسَلِّون عنه، أمّا ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة. والمقصود في القراءتين إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تقريطهم^{٤٩٢}.

^{٤٨٨} - التوبة ١١٠.

^{٤٨٩} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٠٧، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٢٣٠، تفسير البحر المحيط ٥ / ١٠٥.

^{٤٩٠} - انظر: معاني القرآن للفراء ١ / ٤٥٢.

^{٤٩١} - انظر: الكشف والبيان ٥ / ٩٦.

^{٤٩٢} - انظر: الكشاف ٣ / ٩٦.

المطلب الرابع: أنواع الواو { بين الاستتفاف والعطف }.

للواو أنواع كثيرة في العربية وحديثنا في هذا المبحث في نوعين من أنواعها وهما: الاستتفاف والعطف؛ لأنّ قارئنا يعقوب قد انفرد بالاستتفاف والعطف عن بقية القراء.

أولاً: واو الاستتفاف

وهي حرف غير عامل، وما بعدها يغلب عليه أن يكون مرفوعاً^{٤٩٣}، وقرأ رويس عن يعقوب ونبلوا أخباركم بواو الاستتفاف في موضع واحد مخالفاً بذلك بقية القراء في قوله تعالى:

﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلُّوا أَخْبَارَكُمْ﴾^{٤٩٤} بإسكان الواو تخفيفاً، أو

بتقدير ونحن نبلوا، والباقون بفتحها عطفاً على ما قبله^{٤٩٥}.

أمّا تخفيف الحركات بحذفها فقد ذكر بالتفصيل في المستوى الصوتي، وما يعنينا هو تقدير نحن فتكون الواو حينئذ استتفاوية، أمّا قراءة الجمهور فإنّ نبلو معطوفة على نعلم، وفي قراءة يعقوب فإنّه قد قطعها عن العطف^{٤٩٦}. وهذا ما يُسمى بالقطع النحوي، والوجه البلاغي في قراءة يعقوب أن يعلم العبد أن ابتلاء الله دائم^{٤٩٧}.

^{٤٩٣} — المعجم الوافي ٣٥١.

^{٤٩٤} — محمد ٣١.

^{٤٩٥} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٠٨، الكشف والبيان ٩ / ٣٨.

^{٤٩٦} — انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٤٦٧.

^{٤٩٧} — انظر: تفسير البحر المحيط ٨ / ٨٤.

ثانياً: واو العطف

قرأ يعقوب قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي

فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ ﴿٤٩٨﴾ بنصب قاف يضيق منهما عطا على يكذبون، والباقون بالرفع وفيها

توجيهان الأول: على الاستئناف^{٤٩٩}. والثاني: أنه معطوف على خبر إن في إني أخاف أن يكذبون^{٥٠٠}، وقراءة يعقوب بالنصب فيهما عطفاً على يكذبون، فيكون التوكيد وما بعده يتعلق بالخوف^{٥٠١}.

والفرق بينهما في المعنى: أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل: خوف التوكيد، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة^{٥٠٢}. والدليل على صحة ذلك أن يعقوب عطف بكلمة يضيق ولا ينطلق على يكذبون، وواو العطف تؤدي معنى المشاركة في الحكم، فوقع ضيق الصدر، وعدم انطلاق اللسان، وتوكيد موسى – عليه السلام – أدى إلى حصول خوف موسى من فرعون وقومه، أما بالرفع ففيه ثلاث علل خوف التوكيد، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، كما قال الزمخشري؛ لأن الواو للاستئناف.

^{٤٩٨} – الشعراء ١٣.

^{٤٩٩} – انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١١، إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٢٠، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٣٢٦.

^{٥٠٠} – انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١١.

^{٥٠١} – انظر: تفسير البحر المحيط ٧ / ٨.

^{٥٠٢} – انظر: الكشاف ٤ / ٣٨٠.

المبحث الخامس: الانتقال بين الأفعال وبين الفعل والاسم.

عُرقتُ العربية بالانتقال بين الفعل والاسم، وبين الأفعال الماضية والمضارعة وأفعال الأمر، وهذه الأفعال قسمة شكلية ذات علاقة بالزمن، وجاءت الانتقالات بوجوه بلاغية جديدة، وهذا ما حصل في قراءة يعقوب، وأملت علينا طبيعة هذا الدرس النحوي أن يكون المبحث في مطلبين هما:

المطلب الأول: التنقل بين الأفعال.

المطلب الثاني: التنقل بين الاسم والفعل.

المطلب الأول: التنقل بين الأفعال

تفرد يعقوب بتغيير الفعل الذي قرأ به جمهور القراء في ثلاثة مواضع فقط، فأفاد وجها نحويًا، ومعنى بلاغيا جديداً.

الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع

قرأ يعقوب وأملئ لهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ

الهُدَىٰ ۗ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ۗ﴾^{٥٠٣} فسكن الياء مضارعاً أي: وأملئ أنا لهم^{٥٠٤}.

فاحتملت وجهين، أحدهما: أن يكون مضارعاً مُسنداً لضمير المتكلم أي: وأملئ أنا لهم، وأن يكون ماضياً كقراءة أبي عمرو [وأملئ] سكتت ياءه تخفيفاً^{٥٠٥}، غير أن الحمل على المضارع أولى من الحمل على التخفيف؛ لأنّ التخفيف مختلف فيه بين النحاة، وقد تقدم الحديث عنه في المستوى الصوتي في تخفيف الحركة.

وقرأ الجمهور "أملئ"، قال الحسن: هو الشيطان جعل وعده الكاذب بالبقاء كالإملاء، وذلك أنّ الإملاء هو الإبقاء ملاوة من الدهر، يقال: ملأوه وملأوه وملأوه بضم الميم وفتحها وكسرها؛ وهي القطعة من الزمن، ومنه الملوان الليل والنهار، فإذا أملئ الشيطان إملاء لا صحة له إلا بطمعهم الكاذب. ويحتمل أن يكون الفاعل في "أملئ" الله عز وجل، كأنه قال: الشيطان سول لهم، وأملئ الله لهم^{٥٠٦}.

^{٥٠٣} - محمد ٢٥.

^{٥٠٤} - إتحاف فضلاء البشر ١/ ٥٠٧، المبسوط في القراءات العشر ١/ ٤٠٨، الكشف والبيان ٩/ ٣٧.

^{٥٠٥} - الدر المصون ٩/ ٧٠٣، تفسير البحر المحيط ٨/ ٨٣.

^{٥٠٦} - المحرر الوجيز ٥/ ١٠٥.

والراجح في قراءة الجمهور أنّ الضمير يعود على الشيطان؛ لأنّه أقرب مذكور، فيصبح معنى أملى لهم أي: مدّ لهم في الأمل، فإن قيل: الإملاء والإمهال وحدّ الأجال لا يكون إلا من الله، فكيف يصح قراءة من قرأ: وأملى لهم، فإن المملي حينئذ هو الشيطان؟. فالجواب إنّ المسوّل أيضاً ليس هو الشيطان، وإثما أسند إليه من حيث إنّ الله قدر على يده ولسانه ذلك، فكذلك الشيطان يمسه ويقول لهم: في آجالكم فسحةً فتمتعوا برئاستكم ثمّ في آخر العمل تؤمنون^{٥٠٧}.

أمّا قراءة يعقوب فإنّ الضمير عائد إلى الله تعالى، أي الشيطان سؤل لهم وأنا أملي لهم فيكون الكلام وعيداً، أي أنا أؤخرهم قليلاً ثمّ أعاقبهم^{٥٠٨}. فقراءة الجمهور تحتل وجهين في رجوع الضمير، أمّا في قراءة يعقوب فإسناد الضمير لله.

^{٥٠٧} — انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٤٦١.

^{٥٠٨} — التحرير والتوير ٢٦ / ١١٦.

الانتقال من فعل الأمر إلى الفعل الماضي

قرأ يعقوب قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ

وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾^{٥٠٩} بضم باء {ربنا} على الابتداء،

وباعد بالالف وفتح العين والبدال [فعل ماض] خبر على أنه شكوى منهم؛ لبعد سفرهم إفراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم، والباقون { ربنا } بالنصب { باعد } بالالف وكسر العين وسكون البدال [فعل أمر]^{٥١٠}. فقراءة الجمهور بفعل الأمر على الدعاء، أي: اجعل بيننا وبين الشام فلات ومفاوز؛ لنركب فيها الرواحل ونتزود الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة. وقال مجاهد: بطروا النعمة وسئموا الراحة^{٥١١}.

وقرأ رويس عن يعقوب قوله تعالى: ﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾^{٥١٢} أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي

ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾^{٥١٢} بفتح اللام من انطلق فعلا ماضيا على الخبر، كأنهم لما أمروا بالأول وهو

﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ امتثلوا فانطلقوا إلى ظلّ، إذ الأمر هناك ممتثل قطعاً، والباقون

بكسرها أمرا متكررا بيانا للمنطلق إليه^{٥١٣}. فقراءة الجمهور تكرر أو بيان للمنطلق إليه، وقراءة

^{٥٠٩} - سبأ ١٩.

^{٥١٠} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٦٠ - ٤٦١، تفسير البحر المحيط ٧ / ٢٦٢، اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٩.

^{٥١١} - انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣ / ٦٧٨.

^{٥١٢} - المرسلات ٢٩.

^{٥١٣} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٦٧.

رويس عن يعقوب: بفتح اللام على معنى الخبر، كأنهم لما أمرُوا امتثلُوا فانطلقوا، إذ لا يمكنهم التأخير، إذ صاروا مضطرين إلى الانطلاق^{٥١٤}.

^{٥١٤} — انظر: تفسير البحر المحيط ٨ / ٣٩٨.

المطلب الثاني: الانتقال بين الاسم والفعل

الانتقال بين الجمل الفعلية والاسمية في العربية أسلوب من أساليبها، وقد يتغير المعنى بسبب هذا التغير، وبالأخص في كتاب الله، إذ ليس ثمّة كلمة تسد مسدّ أخرى في كلام الله، وورد هذا عند قارئنا يعقوب فخالف بذلك البقية، وورد ذلك في موضعين:

الأول: قرأ يعقوب كلمة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا

السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^{٥١٥} بنصب تاء كلمة عطفاً على

{كلمة الذين}، والباقون بالرفع على الابتداء^{٥١٦}. وكلمة الله بالنصب أي: وجعل كلمة، وقراءة الجمهور بالرفع أثبت في الإخبار^{٥١٧}. وقراءة الرفع والنصب في {كلمة الله} لا يغير في المعنى سوى أنّ الرفع أثبت، لأنّ الجملة الاسمية تدل على الثبات، والجملة الفعلية تدل على التجدد والاستمرار.

والثاني: قرأ يعقوب وَأَتَّبَعَكَ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْوْمُنُ لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾^{٥١٨} بقطع

الهمزة وسكون التاء وبألف بعد الباء ورفع العين {أتباعك} جمع تابع كصاحب وأصحاب أو تبييع كشريف وأشرف، فإمّا أنّ تكون مبتدأ خبره الأردلون والجملة حال، أو أنّ تكون عطفاً على ضمير أنؤمن، والأول أقوى؛ لأنّ العطف على الضمير قليل، والباقون بوصل الهمزة مع تشديد

^{٥١٥} - التوبة ٤٠.

^{٥١٦} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٠٤.

^{٥١٧} - انظر: تفسير البحر المحيط ٥ / ٤٦.

^{٥١٨} - الشعراء ١١.

التاء وفتح العين بلا ألف فعلا ماضيا، وهي جملة حالية من كاف لك^{٥١٩}. فهذه القراءات القرآنية تشكل معينا لا ينضب للنحو العربي، وهي صحيحة متواترة لا يجوز تخطئة قارئها أو تلحينه؛ لأنها سنة متبعة لم يجتهد القارئ فيها، وإنما نقلها بسنده إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -.

^{٥١٩} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٢٢، المحرر الوجيز ٤ / ٢٨٥، تفسير البحر المحيط ٧ / ٣٠، الباب في علوم الكتاب ١٥ / ٥٦.

الفصل الثالث

المستوى المصرفي

الفصل الثالث: المستوى الصرفي

كانت القراءات القرآنية وما زالت نبعاً ينهل منه علماء العربية، ويستقوا منه قواعدهم الصرفية، وكانت قراءة قرائنا الثلاثة من هذه القراءات التي أمدت اللغة بجمع من قواعد الصرف، ونحن في هذا الفصل سنتطرق للمباحث التي تفرد بها قرائنا الثلاثة عن بقية القراء، ونذكر بأن خلفاً لم يخالف القراء في شيء، وإثماً الذي خالف هو أبو جعفر ويعقوب، وقد أملى علينا هذا الفصل أن نجعله في مباحث على النحو الآتي.

المبحث الأول: القلب المكاني.

المبحث الثاني: إسناد الأفعال للضمائر.

المبحث الثالث: اللزوم والمتعدي.

المبحث الرابع: البناء للفاعل والمفعول.

المبحث الخامس: نون التوكيد الخفيفة.

المبحث السادس: تبادُل صيغ الأفعال.

المبحث السابع: المصادر.

المبحث الثامن: المشتقات.

المبحث التاسع: التذكير والتأنيث.

المبحث العاشر: الجموع.

المبحث الأول: القلب المكاني

هو تقديم بعض حروف الكلمة على بعض، وواقع القلب أنه ظاهرة لغوية واضحة في اللغة العربية، ولا يصح إنكارها، ونحن نلاحظها كل يوم في لغة الأطفال، ولغة العامة، بل إن هذه الظاهرة وردت في أفصح الكلام كما سيأتي لاحقاً، فمثلاً يقولون: سقّف على يديه أو بيديه، فأصل هذا الفعل صَقَّق فحدث قلب مكاني بين الفاء والقاف، وكلمة ورّيت فلاناً كذا، يريدون: أطلّعت عليه، أي أريته^{٥٢٠}. ومن أشهر أسباب القلب:

التخفيف اللفظي، وأخطاء الأجيال فتتوارث لما بعدهم دون تصحيح، والقياس الخاطيء وله النصيب الأوفر، والتوهم السمعي فتسمع حفر فحر، وخطأ الرواة^{٥٢١}.

ويُشترط لذلك بقاء المعنى ثابتاً دون تغيير، ويظهر أنّ مردّه إلى اختلاف اللغات، ثم حدث تداخل بينها، فاستعمل أصحاب هذه اللغة لغة غيرهم حتى شاع الاستعمالان في اللغة الواحدة^{٥٢٢}.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: من صور القلب المكاني للهمزة ما قرأ به أبو جعفر والحسن

وعبد الله بن عياش بن ربيعة بن زيد بن أسلم قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ

أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ

لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^{٥٢٣} فقرأوا " يَتَأَلَّ " بهمزة مفتوحة بين التاء واللام وتشديد اللام وفتحها

على وزن يَفْعَل^{٥٢٤}، وانفرد أبو جعفر عن بقية القراء العشرة في هذه القراءة، وهي مضارع

^{٥٢٠} - انظر: التطبيق الصرفي ١٤، بحوث ودراسات في اللهجات العربية ٧٠ / ٩.

^{٥٢١} - انظر: اللهجات العربية في التراث ٢ / ٦٥٤-٦٥٥.

^{٥٢٢} - انظر: النقد اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري ١٩٤.

^{٥٢٣} - النور ٢٢.

^{٥٢٤} انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٩٣.

تألى بمعنى حلف، والباقون بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللام، مخففة من ألوتُ أي: قصرت، أو مضارع ائتلى افتعل من الأليّة، وهي الحلف^{٥٢٥}. وكنتاها توافق الرسم العثماني يقول الإمام ابن الجزري: " وذكر الإمام المحقق أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم القراب في كتابه علل القراءات: أنه كتّبَ في المصاحف (يتل)، قال: فلذلك ساغ الاختلاف فيه على الوجهين "^{٥٢٦}

وجعلها الفراء من الأليّة حيث قال: " وقوله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ ﴾ والائتلاء: الحلف، وقرأ بعض أهل المدينة: { ولا يتألّ أولو الفضل } وهي مخالفة للكتاب، من تأليت^{٥٢٧}.

ويقال لليمين: ألوةٌ وألوةٌ وإلوةٌ وأليّة^{٥٢٨}، يقول ابن جنّي: تأليت على كذا إذا حلفت، والألوة، والألوة، والألوة، والأليّة: اليمين، ومن قرأ: " ولا يأتل " فهي بمعنى: لا يقصر، وهي مثل: ما ألوت في كذا، أي: ما قصرت^{٥٢٩}. ومثلها قوله تعالى: " لا يألونكم خبالاً " أي: لا يقصرون^{٥٣٠}.

والائتلاء افتعال من الأليّة: وهي الحلف، وأكثر استعمال الإلية في الحلف على امتناع حصول الشيء^{٥٣١}.

والناظر في قراءة الجمهور يجد أنّ قراءتهم تحتمل أن تكون من الأليّة وهي الحلف، وتحتمل أن تكون من ألوت، أي: قصرت، أمّا قراءة أبي جعفر يتألّ فهي من الأليّة وهي الحلف، فاتفقت قراءة

^{٥٢٥} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٤٠.

^{٥٢٦} - النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٣١.

^{٥٢٧} - معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٤٨.

^{٥٢٨} - معجم مقاييس اللغة / لوى

^{٥٢٩} - انظر: المحتسب ٢ / ١٠٦.

^{٥٣٠} - انظر: الكشف والبيان ٣ / ١٣٤.

^{٥٣١} - التحرير والتنوير ١٨ / ١٨٩.

الجمهور وأبي جعفر بنفس المادة الأصلية فكلاهما من الأليّة وهما بنفس المعنى وهو الحلف، وسبب نزول الآيات أن أبا بكر حلف ألا يُنْفِق على مسطح بن أثاثة وقرابته الذين ذكروا عائشة في حادثة الإفك، وكانوا ذوي جَهْد فأنزل الله: ﴿أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^{٥٣٢} فقال أبو بكر: بلى يا ربّ، فأعادهم إلى نفقته^{٥٣٣}. ومن هذا المعنى جاء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَنْ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِإِفْلَانَ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَنَآئِي عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِإِفْلَانَ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِإِفْلَانَ، وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ"^{٥٣٤} فقراءة أبي جعفر يَنَآئِل هي قلب مكاني من يَأْتِل وكلاهما من الأليّة وهي الحلف، فحصل القلب ولم يتغير المعنى في نفس الكلمة، وشاعت الكلمتان في العربية.

^{٥٣٢} - النور ٢٢.

^{٥٣٣} - انظر: معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٤٨. تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٨٦.

^{٥٣٤} - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم { صحيح مسلم } ٤ / ٢٠٢٣، رقم الحديث ٢٦٢١.

المبحث الثاني: إسناد الأفعال للضمائر

يعرف الكلام العربي بأنه يصدر إما على جهة التكلم أو من الخطاب أو من الغيبة، وتتفنن العرب في عدم سيرها على نسق واحد، فتنقل من أسلوب لآخر في كلامها، وهذا الأسلوب في الانتقال فن من فنون الكلام في اللغة العربية يسمى بالالتفات، واعتنى العرب بهذا الأسلوب لما فيه من دفع السامة عن المستمع وجذب لانتباهه، والقرآن نزل بالكلام العربي فأعجزهم في نظمه وأسلوبه، وجاء الالتفات من بين هذه الأساليب القرآنية، ووقع الإسناد للضمائر عند قرائنا أبي جعفر ويعقوب دون خلف، وانفرد كل واحد عن صاحبه وعن البقية، فظهر هذا الالتفات في الإسناد بأحلى حلة، وجاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: إسناد الفعل لضمير المتكلم [نون العظمة].

المطلب الثاني: إسناد الفعل لضمائر المخاطب.

المطلب الأول: إسناد الفعل لضمائر الغيبة.

المطلب الأول: إسناد الفعل لضمير المتكلم [نون العظمة]

تفرد أبو جعفر ويعقوب بنون العظمة عن بقية القراء في موضعين، كل واحد في موضع، فأبو جعفر في قوله تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُ الْمُضِلِّينَ عَضْدًا ﴾^{٥٣٥} فقرأ أشهدناهم بالنون والألف على الجمع للعظمة، وقرأ الباكون بالتاء مضمومة من غير ألف على ضمير المتكلم^{٥٣٦}.

والقراءتان تحتلان الرسم العثماني فهما بنفس الرسم؛ فلم يكن الرسم متقطاً ولا ترسم الألف أو أنها ترسم صغيرة، والمعنى في قراءة أبي جعفر هو تعظيم الله نفسه، وكلا القراءتين هي توبيخ للكفار الذين عبدوا غير الله، فإله يقول لهم: ما أشهدتهم ألهمكم خلقاً فأستعين بهم وأشاورهم فيها، فلما لم يكونوا شركاء في الخلق والإلهية، لم اتخذتموهم شركاء في العبادة^{٥٣٧}.

ويعقوب في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾^{٥٣٨} فقرأ بنون العظمة في يقضى مفتوحة وكسر الضاد مبنيًا للفاعل، والباكون بالياء من تحت مضمومة وفتح الضاد مبنيًا للمفعول ووحيه بالرفع نائب الفاعل^{٥٣٩}. فيكون المعنى في قراءة الجمهور من قبل أن يقضي إليك جبريل الوحي، وفي قراءة يعقوب بنون العظمة نسبة القضاء لله تعالى.

^{٥٣٥} - الكهف ٥١.

^{٥٣٦} - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٣١١، تفسير البحر المحيط ٦ / ١٢٩، اللباب في علوم الكتاب ١٢ / ٥١٠.

^{٥٣٧} - انظر: معالم التنزيل ٥ / ١٥٠، الكشاف ٢ / ٦٧٩.

^{٥٣٨} - طه ١١٤.

^{٥٣٩} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٨٩، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٢٩٨، تفسير البحر المحيط ٦ / ٢٦٢، اللباب في علوم الكتاب ١٣ / ٤٠٠.

المطلب الثاني: إسناد الفعل لضمائر المخاطب

تفرد أبو جعفر في إسناد الفعل لضمائر المخاطب في ثلاثة مواضع، وتفرد يعقوب بموضعين.

فقرأ أبو جعفر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمِ لَبَنًا

خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾^{٥٤٠}، بالتاء المفتوحة من نسقيكم على التأنيث مسندا للأنعام ولا ضعف

فيها من حيث إنه أتت نسقيكم وذكر بطونه؛ لأنّ التذكير والتأنيث باعتبارين^{٥٤١}

يقول الفراء: "وأما قوله {مِمَّا فِي بُطُونِهِ} ولم يقل بطونها فإنه قيل - والله أعلم - إن النعم

والأنعام شيء واحد، وهما جمعان، فرجع التذكير إلى معنى النعم إذا كان يؤدي عن الأنعام"^{٥٤٢}

يقول الزمخشري: نسقيكم بناء مفتوحة، أي: نسقيكم الأنعام^{٥٤٣}.

وقيل: أفرد على تقدير المذكور كما يفرد اسم الإشارة بعد الجمع كما قال رؤبة^{٥٤٤}:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق

قال ثعلب: قال أبو عبيدة: قلت لرؤية: لم قلت: "خطوط من سواد وبلق" ثم قلت: "كأنه" ولم

لم تقل: كأنهن أو كأنها؟ فزجرني ثم قال: كأن ذلك^{٥٤٥}.

^{٥٤٠} - النحل ٦٦.

^{٥٤١} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٥٢، المبسوط في القراءات العشر ١/ ٢٦٤، تفسير البحر المحيط ٥/ ٤٩٢.

^{٥٤٢} - معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠٨.

^{٥٤٣} - الكشاف ٣/ ١٨٤.

^{٥٤٤} - ديوان رؤبة بن العجاج ١٠٤.

^{٥٤٥} - انظر: مجالس ثعلب ١/ ٧٥.

قال الكسائي: أي في بطون ما ذكرنا. قال المبرد: وهذا سائغ في القرآن قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا

نَذِيرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ أي ذكر هذا الشيء. وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾

أي: هذا الشيء الطالع، ولا يكون هذا إلا في التأنيث المجازي^{٥٤٦}.

وقال الزمخشري في الآية السابقة: ذكر سببويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة على أفعال كقولهم: ثوب أكياش؛ ولذلك رجع الضمير {الأنعام} إليه مفرداً^{٥٤٧}.

ويرى ابن عطية أن قراءة تسقيكم بالتاء ضعيفة، وتبعه على ذلك القرطبي^{٥٤٨}. وضعفها عنده من حيث المعنى: وهو أن المقصود الامتنان على الخلق فنسبة السقي إلى الله تعالى هو الملائم، لا ينسبته إلى الأنعام.

ولا ضعف في نسبة السقي للأنعام؛ لأنها سبب في اللبن الخارج منها، يقول الفراء: "وربما قالوا لما في بطون الأنعام ولماء السماء سقى وأسقى"^{٥٤٩}

قرأ أبو جعفر {نطوي} في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^{٥٥٠}

بضم التاء من فوق على التأنيث وفتح الواو مبنيًا للمفعول، والسماء بالرفع مفعول لما لم يسم

^{٥٤٦} - انظر: تفسير البحر المحيط ٥ / ٤٩٢.

^{٥٤٧} - انظر: الكشاف ٣ / ٤٤٦.

^{٥٤٨} - انظر: المحرر الوجيز ٣ / ٤٠٧، الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٢٣.

^{٥٤٩} - معاني القرآن للفراء ٢ / ١٠٨.

^{٥٥٠} - الأنبياء ١٠٤.

فاعله، والباقون بنون العظمة والفاعل هو الله ^{٥٥١}. فقراءة الجمهور فيها تعظيم لله، لأنّ طيّ السماء أمر عظيم، ولا يقدر عليه إلا العظيم، فناسب مجيء نون العظمة للسياق الموضوع فيها.

وقرأ أبو جعفر قوله تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ

مُتَّخِذًا الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ ^{٥٥٢} بفتح التاء خطاباً للنبي لتعلم أمته أنّه مذ كان ووجد عليه السلام في

غاية التبرّي من المضلين والبعيد عنهم، فهو لم يزل محفوظاً من أوّل نشأته لم يعتضد بمضلل ولا مال إليه، فهي تزكية من الله لنبيه، وقرأ الباقر بالضم إخباراً من الله تعالى عن ذاته المقدسة، أنّه ما كان متخذهم أعواناً، فإذا لم يكونوا أعواناً في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة ^{٥٥٣}.

فعندما اختلف الإسناد اختلف المعنى، وجاء بمعنى جديد لم نجده في قراءة الجمهور.

وقرأ يعقوب {تعلمون} بالتاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَجْذِئَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ

الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ ۗ مِنْ الْعَذَابِ ۗ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا

يَعْمَلُونَ ﴾ ^{٥٥٤} قرأ الجمهور يعملون بالياء، على نسق الكلام السابق. وقرأ الحسن وقيادة

^{٥٥١} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٩٤، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٣٠٣، الكشف والبيان ٦ / ٣١١، تفسير البحر المحيط ٦ / ٣١٧، اللباب في علوم الكتاب ١٣ / ٦١٣.

^{٥٥٢} - الكهف ٥١.

^{٥٥٣} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٦٨، الكامل في القراءات ١ / ٥٩٢، الكشاف ٢ / ٦٨٠، تفسير البحر المحيط ٦ / ١٣٠.

^{٥٥٤} - البقرة ٩٦.

والأعرج ويعقوب بالتاء على سبيل الالتفات، والخروج من الغيبة إلى الخطاب، وهذه الجملة تتضمن التهديد والوعيد^{٥٥٥}.

وقرأ رويس عن يعقوب فلتفرحوا في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ

خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ^{٥٥٦} بتاء الخطاب، وافقه الحسن والمطوعي، وهي قراءة أبيّ وأنس — رضي الله تعالى عنهما —، ورفعها في النشر إلى النبي، وهي لغة قليلة؛ لأنّ الأمر باللام إنّما يكثر في الغائب، والباقون بالغيب، ومعنى الآية: قل يا محمد لجميع الناس: بفضل الله وبرحمته فليقع الفرح منكم، لا بأمور الدنيا وما يجمع من حطامها^{٥٥٧}.

والقراءة متواترة صحيحة، مع قلتها عند العرب.

يقول الفراء: ذكر عن زيد بن ثابت أنّه قرأ: " فبذلك فلتفرحوا " أي يا أصحاب محمد، بالتاء وكان الكسائي يعيب قولهم: فلتفرحوا، لأنّه وجده قليلا فجعله عيبا، وهو الأصل، ولقد سمعت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال في بعض المشاهد: " لتأخذوا مصافكم " يريد به خذوا مصافكم^{٥٥٨}. ويقول المبرد: " يُروى عن رسول الله أنّه قرأ: " فَبِذَلِكَ فَلتَفْرَحُوا " فهذا مجزوم جزمته اللام، وجاءت هذه القراءة على أصل الأمر " ^{٥٥٩}.

^{٥٥٥} — انظر: تفسير البحر المحيط ١ / ٤٨٣.

^{٥٥٦} — يونس ٥٨.

^{٥٥٧} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣١٥، النشر في القراءات العشر ٢ / ٢٨٥، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٢٣٤، الكامل في القراءات ١ / ٥٦٨.

^{٥٥٨} — انظر: معاني القرآن للفراء ١ / ٤٦٩ — ٤٧٠، تفسير الفخر الرازي ١٧ / ٢٧١.

^{٥٥٩} — المقتضب ٢ / ١٢٩.

يقول أبو علي الفارسي: من قرأ: فلتفرحوا فلأنته اعتبر الخطاب الذي قبل، وهو قوله سبحانه:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^{٥٦٠}

فلتفرحوا، وزعموا أنها في حرف أبي: فافرحوا، قال أبو الحسن الأخفش: وزعموا أنها لغة، قال: وهي قليلة، يعني نحو: لتضرب، وأنت تخاطب^{٥٦١}.

ويقول الزجاجي: "ربما أدخلت اللام في هذا الفعل أيضا توكيدا فقليل: لتذهب يا زيد ولتركب ولتنطلق، وعلى هذا قرئ فبذلك فلتفرحوا"^{٥٦٢}.

ويقول ابن عطية: من قرأ فلتفرحوا فأدخل اللام في أمر المخاطب فذلك على لغة قليلة، وهي قراءة جماعة من السلف كبيرة^{٥٦٣}.

ويقول الزمخشري: "وقرئ" فلتفرحوا "بالتاء وهو الأصل والقياس، وهي قراءة رسول الله — صلى الله عليه وسلم —"^{٥٦٤}.

ويقول ابن هشام: قد جاء قليلا أن يؤمر الفاعل على المخاطب بالحرف، ومنه قراءة النبي — صلى الله عليه وسلم — فبذلك فلتفرحوا^{٥٦٥}.

وتابع السمين الحلبي الزمخشري على صحة القراءة، وأنها الأصل^{٥٦٦}.

^{٥٦٠} — يونس ٥٧.

^{٥٦١} — انظر: الحجة للقراء السبعة ٤ / ٢٨٢ / ٢٨٣.

^{٥٦٢} — اللامات ١ / ٩٢.

^{٥٦٣} — انظر: المحرر الوجيز ٣ / ١٤٢ / ١٤٣.

^{٥٦٤} — الكشف ٣ / ١٥٠.

^{٥٦٥} — أوضح المسالك ٤ / ٢٠١.

^{٥٦٦} — انظر: الدر المصون ٦ / ٢٢٤.

يقول الزبيدي في لام الأمر: فإن جاءت للمخاطب لم يُنكر، وقرأ يعقوبُ الحضرميُّ: "فَلتَقْرَحُوا" بالتاء، وهي جائزة^{٥٦٧}.

وضَعَفَ القراءةَ الكسائيُّ فيما نقله عنه الفراء، ولا حجة في قوله^{٥٦٨}. ولا ضعف في القراءة، فناقَلها من القراء الذين أجمعت الأمة على صحة قراءتهم، ولها وجه في العربية، وورد ما يشابهها من كلام رسول الله، وهي أحق أن تتبعها القواعدُ لا أن تتبع القواعدَ، وأكثر العلماء من الكوفة والبصرة على صحتها مع أنَّها لغة لقلَّة من العرب.

^{٥٦٧} — انظر: تاج العروس ٣٣ / ٤٥٦.

^{٥٦٨} — انظر: معاني القرآن للفراء ١ / ٤٦٩، تفسير الفخر الرازي ١٧ / ٢٧١.

المطلب الثالث: إسناد الفعل لضمائر الغيبة

قرأ يعقوب بياء الغيبة في مواطن عدة^{٥٦٩}، وقرأ أبو جعفر بالغيبة في موطن واحد، فقرأ يعقوب قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾^{٥٧٠}، بياء الغيبة في يحشرهم، والفاعل هو الله تعالى، وافقه ابن محيصن والمطوعي، والباقون بنون العظمة فيهما في السورتين^{٥٧١}.

وقرأ يعقوب: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾^{٥٧٢}، بالياء في " يرفع، يشاء " والفاعل الله، والباقون بالنون للعظمة^{٥٧٣}. والله يعلم مستحق ذلك ومقدار استحقاقه ويخلق ذلك على حسب تعلق علمه، فحكيم بمعنى محكم، أي متقن للخلق والتقدير^{٥٧٤}.

قرأ يعقوب تدعون بالياء ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُۥٓ اِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوْا ذُبَابًا وَّلَوْ اٰجْتَمَعُوْا لَهُۥٓ ﴾^{٥٧٥}، وقرأ الباقر " تَدْعُونَ " بالتاء، وكلاهما مبني

^{٥٦٩} - قرأ يعقوب " ببيض له شيطاننا " بالياء، والجمهور بنون العظمة، وقرأ أيضا " وإليه يرجعون " بالياء على الغيبة، وقرأ الجمهور بالتاء على الخطاب.

^{٥٧٠} - الأنعام ٢٢، سبأ ٤٠.

^{٥٧١} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٦١، المبسوط في القراءات العشر ١ / ١٩١، المحرر الوجيز ٢ / ٣٢٦، تفسير البحر المحيط ٤ / ٩٨، اللباب في علوم الكتاب ٨ / ٧١.

^{٥٧٢} - يوسف ٧٦.

^{٥٧٣} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٣٤، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٢٤٧، المحرر الوجيز ٣ / ٢٧٤، تفسير البحر المحيط ٥ / ٣٢٨، اللباب في علوم الكتاب ١١ / ١٧١.

^{٥٧٤} - انظر: التحرير والتنوير ٧ / ٣٣٦.

للفاعل ^{٥٧٦}. والمعنى لما ذكر تعالى أن الكفار يعبدون ما لا دليل على عبادته لا من سمع ولا من عقل ويتركون عبادة من خلقهم، ذكر ما عليه معبوداتهم من انتفاء القدرة على خلق أقل الأشياء بل على رد ما أخذ ذلك الأقل منه، وفي ذلك تجهيل عظيم لهم حيث عبدوا من هذه صفته لقوله: " إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ ". وقيل: خطاب للمؤمنين أراد الله أن يبين لهم خطأ الكافرين. وقيل: الخطاب عام يشمل من نظر في أمر عبادة غير الله، فإنه يظهر له قبح ذلك ^{٥٧٧}. والرأجح أن الخطاب عام يشمل المؤمنين وغيرهم؛ لأن الآية بدأت بقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ " فالخطاب عام لجميع الناس.

وقرأ أبو جعفر نخرج في قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْورًا ﴾ ^{٥٧٨} بالياء المثناة من تحت مضمومة وفتح الراء [يُخْرِج] مبنيا

للمفعول، ونائب الفاعل ضمير الطائر، أي: ويخرج الطائر كتابا. وقرأ يعقوب بالياء المفتوحة وضم الراء مضارع خرج، وافقه ابن محيصن ومجاهد والحسن، غير أن الحسن قرأ {كتاب} على أنه فاعل يخرج. والفاعل ضمير الطائر أيضا، والمعنى ويخرج طائره كتابا، والباقون بنون العظمة مضمومة وكسر الراء والفاعل الضمير نحن الدال على العظمة، واتفقوا على نصب كتابا على المفعول به في قراءة الجمهور، وعلى الحال في السابقتين ^{٥٧٩}.

^{٥٧٥} - الحج ٧٣.

^{٥٧٦} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٣٠٩، النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٢٧، اللباب في علوم الكتاب.

^{٥٧٧} - انظر: تفسير البحر المحيط ٦ / ٣٥٩.

^{٥٧٨} - الإسراء ١٣.

^{٥٧٩} - انظر: تفسير البحر المحيط ٦ / ١٤.

المبحث الثالث: اللازم والمتعدي

ينقسم الفعل في العربية إلى لازم ومتعدٍ، وباللزم قرأ يعقوب في فعلين مخالفاً للجمهور.
الأول: قرأ يعقوب جميع الباب " ترجعون " بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم ما جاء منه غيباً
أو خطاباً في جميع القرآن مبنياً للفاعل، وذلك إذا كان من رجوع الآخرة^{٥٨٠}.

فالجمهور على قراءة " تُرْجَعُونَ " مبنياً للمفعول، ويعقوب مبنياً للفاعل حيث جاء، ووجه القراءتين
أن رَجَعَ يكونُ قاصراً ومتعدياً، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا

فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قراءة الجمهور من المتعدّي وهو

أرجح؛ لأنَّ أصلها ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُكُمْ، فقبله ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾، فكان سياق
هذا الإسناد أن يكون الفعل في الرجوع مسنداً إليه {ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ}؛ ولأنَّ الإسنادَ في الأفعال
السابقة لله تعالى، فيناسبُ أن يكونَ هذا كله لله تعالى، ولكنه بُنيَ للمفعول، لأجل الفواصل
والقواطع فصارت {تُرْجَعُونَ}،^{٥٨١}.

فقراءة الجمهور تتناسب مع السياق؛ لأنَّ السياق يتحدث عن التصرف التام في الإحياء والإماتة،
والإحياء والرجوع إليه تعالى.

وقراءة الجمهور على اعتبار أنَّ الله أرجعهم، وإن كانوا كارهين، لأنهم أنكروا البعث، وقراءة
يعقوب باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر^{٥٨٢}.

^{٥٨٠} — انظر: الشمعة في أفراد الثلاثة عن السبعة / ٣٥٨، إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٧٣.

^{٥٨١} — انظر: الدر المصون ١ / ٢٤٠ — ٢٤١، تفسير البحر المحيط ١ / ٢٧٨، اللباب في علوم الكتاب ١ / ٤٨٦.

^{٥٨٢} — انظر: التحرير والتنوير ١ / ٣٧٧.

الثاني: قرأ يعقوب ترجعون في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَأَنْقُوا

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٨٣﴾، بفتح التاء فوق والذال، والأصل لا تتقدموا [لازم]، حذف إحدى التاءين، والباقيون بضم التاء وكسر الذال على أنه فعل متعدٍ ^{٥٨٤}.

يقول أبو حيان: ويحتمل أن يكون الفعل لازماً نحو وجه وتوجه، ويكون المحذوف ممّا يوصل إليه بحرف، أي لا تتقدموا في شيء ما من الأشياء، ويعضد هذا الوجه قراءة ابن عباس وأبي حيوة والضحاك ويعقوب وابن مقسم لا تقدموا ^{٥٨٥}.

وفي قراءة الجمهور تخريجان:

أحدهما: أنه متعدٍ، وحذف مفعوله إما اقتصاراً كقوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ^{٥٨٦} وكقولهم: "هُوَ

يُعْطِي وَيَمْنَعُ"، "كُلُوا وَاشْرَبُوا" وإما اختصاراً للدلالة عليه أي: لا تقدموا ما لا يصلح. والثاني: أنه لازم نحو: وجه وتوجه. ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك: لا تَقْدِمُوا بِالْفَتْحِ فِي الثَّلَاثَةِ. والأصل لا تتقدموا فحذف إحدى التاءين ^{٥٨٧}.

والمعنى في قراءة الجمهور أي لا تقدموا قولاً ولا فعلاً بين يدي الله وقول رسوله، وفعله فيما سبيله أن تأخذه عنه من أمر الدين والدنيا. ومن قدّم قوله أو فعله على الرسول — صلى الله عليه وسلم — فقد قدّمه على الله تعالى؛ لأنّ الرسول — صلى الله عليه وسلم — إنما يأمر عن أمر الله عز وجل. أمّا قراءة يعقوب فتحتمل معنى واحداً، هو من مقدمة الشيء. ومنه مقدمة الجيش

^{٥٨٣} — الحجرات ١.

^{٥٨٤} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥١٢. المبسوط في القراءات العشر ١ / ٤١٢، الكنز في القراءات العشر ٢ / ٦٥٨.

^{٥٨٥} — انظر: تفسير البحر المحيط ٨ / ١٠٥. اللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٥٢٠.

^{٥٨٦} — البقرة ٢٥٨

^{٥٨٧} — انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٥٢٠.

لمتقدميهم^{٥٨٨}. فالله نهى المؤمنين عن المشي متقدمين أمام النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا من أدب المؤمنين مع رسولهم^{٥٨٩}.

^{٥٨٨} - انظر: تفسير البيضاوي ١ / ٢١١.

^{٥٨٩} - انظر: المحرر الوجيز ٥ / ١٢٧.

المبحث الرابع: البناء للفاعل والمفعول

تعددت المواضع التي تردد الفعل فيها بين البناء للفاعل والبناء للمفعول في القراءات القرآنية، بحيث أصبحت تشكل ظاهرة تفرض نفسها على الدرس اللغوي، فقد بلغ عدد مرات ورودها في القراءات العشر المتواترة اثنين وسبعين موضعا، منها أربعة وعشرون موضعا بصيغة الماضي، وثمانية وأربعون بصيغة المضارع، فضلا عن القراءات الشواذ^{٥٩٠}، والتحول من البناء للفاعل والمفعول أسلوب من أساليب العربية، وسنتعرض في هذا المبحث لمطلبين وهما.

المطلب الأول: البناء للفاعل.

المطلب الثاني: البناء للمفعول.

^{٥٩٠} — انظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً ١٤٩.

المطلب الأول: البناء للفاعل

هو أن يُسند الفعل إلى الفاعل سواء كان اسماً أو ضميراً ظاهراً أو مستتراً.

وقرأ يعقوب بالبناء للفاعل في عدة مواضع متفرداً بذلك عن بقية القراء، فقرأ: " ترجعون " ما جاء منه غيباً أو خطاباً، أينما وقعت بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم في جميع القرآن مبنياً للفاعل، يقول ابن الجزري: " واختلفوا في ترجعون وما جاء منه إذا كان من رجوع الآخرة نحو:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ ﴾^{٥٩١}، ويرجعون في قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا

أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^{٥٩٢} سواء كان غيباً أو

خطاباً، وكذلك " تُرْجَعُ الْأُمُورُ " أينما وردت، ويُرْجَعُ الْأَمْرُ ﴾ ﴿ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ

يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^{٥٩٣} فقرأ يعقوب بفتح حرف

المضارعة وكسر الجيم في جميع القرآن^{٥٩٤}.

^{٥٩١} - البقرة ٢٨.

^{٥٩٢} - النور ٥٧.

^{٥٩٣} - هود ١٢٣.

^{٥٩٤} - انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٢٠٨ - ٢٠٩.

يقول أبو حيان: قرأ الجمهور ترجعون مبنياً للمفعول من رجع المتعدي، قرأ مجاهد، ويحيى بن يعمر، وابن أبي إسحاق، وابن محيصن، والفياض بن غزوان، وسلام، ويعقوب: مبنياً للفاعل، حيث وقع في القرآن من رجع اللازم؛ لأن رجع يكون لازماً ومتعدياً، وقراءة الجمهور أفصح^{٥٩٥}. وقراءة الجمهور على اعتبار أن الله أرجعهم، وإن كانوا كارهين، لأنهم أنكروا البعث، وقراءة يعقوب باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر^{٥٩٦}.

وقرأ يعقوب {يُؤْتِ} في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ

أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^{٥٩٧}، بكسر التاء مبنياً للفاعل، والفاعل

ضمير الله تعالى، ومن مفعول مقدم، والحكمة مفعول ثان، وإذا وقف وقف بالياء ، والباقون بفتح التاء مبنياً للمفعول، ونائب الفاعل ضمير من الشرطية، وهو المفعول الأول، والحكمة مفعول ثان^{٥٩٨}.

وهذه القراءة كقولك: أَيًّا يُعْطِي زَيْدٌ دَرْهَمًا أَعْطَاهُ دَرْهَمًا، وقال الزمخشري: بمعنى وَمَنْ يُؤْتِيهِ اللهُ^{٥٩٩}. قال أبو حيان: فإن أراد تفسير المعنى فهو صحيح، وإن أراد تفسير الإعراب فليس ليس في يؤت ضمير نصب حذف، بل مفعوله مقدم بفعل الشرط، كما تقول: أَيًّا تَعْطِي دَرْهَمًا أَعْطَاهُ دَرْهَمًا^{٦٠٠}. يقول السمين الحلبي: ويؤيد تقدير الزمخشري قراءة الأعمش: "وَمَنْ يُؤْتِيهِ الْحِكْمَةَ" بإثبات هاء الضمير^{٦٠١}.

^{٥٩٥} - انظر: تفسير البحر المحيط ٤ / ١٢٣.

^{٥٩٦} - انظر: التحرير والتنوير ١ / ٣٧٧.

^{٥٩٧} - البقرة ٢٦٩.

^{٥٩٨} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢١١.

^{٥٩٩} - انظر: الكشاف ١ / ٥٠٠.

^{٦٠٠} - انظر: تفسير البحر المحيط ٢ / ٣٣٤.

^{٦٠١} - انظر: الدر المصون ٢ / ٦٠٥، الكشف والبيان ٢ / ٢٧٢، التحرير والتنوير ٣ / ٦٥٤.

واختلف في {ينقص} في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^{٦٠٢}، فيعقوب بخلف عن رويس بفتح الياء التحتية وضم القاف مبنيًا للفاعل، أي: ولا يُنْقِصُ الله، والباقون بضم الياء وفتح القاف مبنيًا للمفعول، والنائب مستتر يعود على المعمر^{٦٠٣}.

ومن الملاحظ عند يعقوب كثرة بناء الفاعل في قراءته، ولم تقف الدراسة على لهجة معينة تكثر من بناء الفعل للفاعل، ولم ينسب أهل اللغة ذلك للهجة من اللهجات، إنما هي أساليب العربية. ولم ينفرد أبو جعفر بالبناء للفاعل في أي موضع.

^{٦٠٢} - فاطر ١١.

^{٦٠٣} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٦٣، الكشف والبيان ٨ / ١٠٢، تفسير البحر المحيط ٧ / ٢٩١.

المطلب الثاني: البناء للمفعول

قد يحذف الفاعل لأسباب لفظية منها قصد الإيجاز في العبارة كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾^{٦٠٤}، أو لغرض لفظي كتصحيح النظم، أو المحافظة على ويحذف لأسباب معنوية كأن لا يتعلق بذكره غرض نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا أَسْتَيْسِرَ مِنْ أَلْهَدِي﴾^{٦٠٥}، أو لكون الفاعل معلوما للمخاطب نحو قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^{٦٠٦}، أو مجهولا كسرق المتاع، أو لرغبة المتكلم في الإبهام، أو لرغبة المتكلم في إظهار تعظيمه للفاعل، أو لرغبة المتكلم في إظهار تحقيره للفاعل، أو لخوفه منه أو عليه^{٦٠٧}.

وانفرد أبو جعفر ويعقوب بالبناء للمفعول، فقرأ يعقوب في ثلاثة مواضع فقط، وقرأ أبو جعفر في مواضع عديدة: فقرأ أبو جعفر نخرج في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾^{٦٠٨} وبالبناء المثناة من تحت مضمومة وفتح الراء مبنيا للمفعول ونائب الفاعل ضمير الطائر.

^{٦٠٤} - النحل ١٢٦.

^{٦٠٥} - البقرة ١٩٦.

^{٦٠٦} - النساء ٢٨.

^{٦٠٧} - أوضح المسالك ٢ / ١٢٠ - ١٢١.

^{٦٠٨} - الإسراء ١٣.

وقرأ أيضا: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^{٦٠٩} بالتاء مضمومة وفتح

الواو " السَّمَاءَ " رفع، وقرأ الباقون " يَوْمَ نَطْوِي " بالنون " السَّمَاءَ " بالنصب^{٦١٠}، فأبو جعفر بضمّ التاء من فوق وفتح الواو مبنياً للمفعول، وقرأ العامة نَطْوِي بنون العظمة، والفاعل ضمير الجمع للتعظيم^{٦١١}.

وقرأ أبو جعفر لِيُحْكَمَ بالبناء للمفعول في عدة مواضع^{٦١٢} من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكَمْ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^{٦١٣}، بضم الياء وفتح الكاف، وقرأ الباقون لِيَحْكَمَ

بفتح الياء وضم الكاف بالبناء للفاعل^{٦١٣}.

ومن الوجوه المبنية للمفعول التي تعارك فيها اللغويون حتى ضعفوها انفراد أبي جعفر في قوله

تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ

حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾^{٦١٤} بضم النون وفتح الخاء في {نَتَّخِذَ}، وقرأ الباقون بفتح

النون وكسر الخاء^{٦١٥}.

^{٦٠٩} - الأنبياء ١٠٤.

^{٦١٠} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٣٠٣. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها ١ / ٣٩٣. إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٩٥.

^{٦١١} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٣ / ٦١٣.

^{٦١٢} - النور ٤٨، ٥١، البقرة ٢١٣، آل عمران ٢٣.

^{٦١٣} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٣٢٠.

^{٦١٤} - الفرقان ١٨.

^{٦١٥} - انظر: المبسوط ١ / ٣٢٢، إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤١٦، معجم القراءات ٤ / ٢٧٩.

وممن ضعف هذا الوجه الزجاج حيث قال: "قرأ أبو جعفر المدني وحده: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا

كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، بضم الثون على ما لم يسم فاعله، وهذه القراءة عند أكثر النحويين خطأ، وإنما كانت خطأ لأن "من" إنما تدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مفعولة أولاً، ولا تدخل على مفعول الحال، تقول: ما اتخذت من أحدٍ ولياً، ولا يجوز ما اتخذت أحداً من ولي؛ لأن "من" إنما دخلت؛ لأنها تنفي واحداً في معنى الجميع، تقول: ما من أحدٍ قائماً، وما من رجلٍ محبباً لِمَا يَضُرُّه، ولا يجوز ما رجل من محببٍ ما يضره، ولا وجه لهذه القراءة، ولا وجه عندنا لهذا البتة، وهذا خطأ لا وجه له فاعرفه، فإن معرفة الخطأ فيه أمثل من القراءة، والقراء كلهم يخالفون هذا منه" ٦١٦.

ويقول ابن عطية: "نُتَخَذَ" بضم النون، وتذهب هذه مذهب من يرى أن الموقف المجيب الأوثان ويضعف هذه القراءة دخول "من" في قوله "من أولياء" ٦١٧.

وأجازها الفراء على ضعف فقال: "إن أبا جعفر المدني قرأ "أَنْ نُنْتَحِدَ" بضم النون "مِنْ دُونِكَ" فلو لم تكن في الأولياء "من" كان وجهاً جيداً، وهو على شدوده وقلة من قرأ به قد يجوز على أن يجعل الاسم في "من أولياء" وإنما آثرت قول الجماعة؛ لأن العرب إنما تدخل من في الأسماء لا في الأخبار، ألا ترى أنهم يقولون: ما أخذت من شيء وما عندي من شيء، ولا يقولون: ما رأيتُ عبدالله من رجل" ٦١٨.

ويوافق السمين الحلبي تضعيف التوجيه لا تضعيف القراءة فيقول: "من أولياء هو المفعول الثاني أيضاً، إلا أن من مزيدة في المفعول الثاني، وهذا مردود: بأن من لا تزداد في المفعول

٦١٦ - معاني القرآن وإعرابه ٤ / ١٦.

٦١٧ - المحرر الوجيز ٤ / ٢٤٨.

٦١٨ - معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٦٤.

الثاني، غير أنه لا يكفي بتضعيف هذا التوجيه بل يذكر بعض التوجيهات الصحيحة، فمن ذلك ما وافق فيه الزمخشري من أن "تتخذ" هي المتعدية لاثنين، والأول ضمير المتكلمين.

والثاني: قوله: مِنْ أَوْلِيَاءٍ وَمِنْ لِلتَّبْعِيضِ أَي: ما كان ينبغي أَنْ نَتَّخِذَ بَعْضَ أَوْلِيَاءِ^{٦١٩}، ولابن جني نظرة أخرى في توجيه الآية فيرى أن قوله: مِنْ أَوْلِيَاءٍ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَدَخَلَتْ مِنْ زِيَادَةِ لِمَكَانِ النَّفْيِ الْمُتَقَدِّمِ، كَقَوْلِكَ: اتَّخَذْتَ زَيْدًا وَكَيْلًا، فَتَقُولُ: مَا اتَّخَذْتَ زَيْدًا مِنْ وَكَيْلٍ وَأَعْطَيْتَهُ دَرَاهِمًا فَتَقُولُ: مَا أَعْطَيْتَهُ مِنْ دَرَاهِمٍ^{٦٢٠}.

وكلا التوجيهين الماضيين صحيح، فعلى أيها وجهت جاز، واتخذ مما يتعدى تارة لواحد كقوله تعالى: "أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ"، فحينئذ تكون من أولياء في محل نصب حال وزيدت من لمكان النفي، وتارة إلى اثنين كقوله تعالى: "أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ". وعليه فالمفعول الأول ضمير المتكلمين، والثاني: قوله: مِنْ أَوْلِيَاءٍ، وَمِنْ لِلتَّبْعِيضِ أَي: ما كان ينبغي أَنْ نَتَّخِذَ بَعْضَ أَوْلِيَاءٍ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنَّكَ تَجِدُ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ تُوَجَّهَ عِدَّةُ تَوْجِيهَاتٍ كُلُّهَا جَائِزَةٌ صَحِيحَةٌ، وَلَا يَجُوزُ لِكَائِنٍ مِنْ كَانَ أَنْ يَطْعَنَ فِي وَجْهِ قِرَائِنِي مُتَوَاتِرٍ سِوَاءِ عِلْمِ تَوْجِيهِهِ أَمْ جَهْلٍ، وَيَعْلَمُ اللَّغْوِيُّ أَنَّ اللَّغَةَ لَمْ تَأْتِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْبَصْرِيُّونَ أَوْ الْكُوفِيُّونَ فَحَسَبَ بَلْ هُمَا ذَكَرَا مَا اشْتَهَرَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَذْكَرَا كُلَّ مَا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مُتَّبِعًا لَا تَابِعًا.

وقرأ أبو جعفر يجزى في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^{٦٢١} بالياء المضمومة

مبنيا للمفعول مع نصب قوما أي: ليجزي الخير والشر أو الجزاء أي ما يجزى به لا المصدر، فإن الإسناد إليه ولا سيما مع وجود المفعول به ضعيف قاله القاضي، وقيل النائب الظرف وهو ما

^{٦١٩} — انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٤٩٧.

^{٦٢٠} — انظر: المحتسب ٢ / ١١٩ — ١٢٠.

^{٦٢١} — الجاثية ١٤.

قاله السمين، وفي هذه حجة للأخفش والكوفيين حيث يجوزون نيابة غير المفعول به مع وجوده، والباقون بنون العظمة مفتوحة مبنيا للفاعل^{٦٢٢}.

يقول أبو جعفر النحاس في هذه القراءة: " فأما ليجزى قوما فقال أبو إسحاق: هو لحن عند الخليل وسيبويه وجميع البصريين، هو لحن في الظاهر عند الفراء، وهو عند البصريين لحن في الظاهر والباطن، وإنما أجازه الكسائي على شذوذ، بمعنى: ليجزى الجزاء قوما فأضمر الجزاء، ولو أظهره ما جاز فكيف وقد أضمره^{٦٢٣}.

ويقول الفراء: " وقد قرأ بعض القراء فيما ذكر لي: ليجزى قوما، وهو في الظاهر لحن، فإن كان أضمر في " ليجزى " فعلا يقع به الرفع كما تقول: أعطى ثوبا ليجزى ذلك الجزاء قوما فهو وجه"^{٦٢٤}.

وفي القائم مقام الفاعل في هذه القراءة ثلاثة أوجه:

أحدها: ضمير المفعول الثاني، عاد الضمير عليه لدلالة السياق عليه، وتقديره: ليجزي هو أي: الخير قوما، والمفعول الثاني من باب أعطى، يقوم مقام الفاعل بلا خلاف، ونظيره: الدرهم أعطى زيدا.

الثاني: أن القائم مقامه المصدر المدلول عليه بالفعل، أي ليجزى الجزاء. وفيه نظر؛ لأنه لا يترك المفعول به ويقام المصدر لا سيما مع عدم التصريح به.

الثالث: أن القائم مقامه الجار والمجرور وهو بما كانوا يكسبون، وفيه حجة للأخفش والكوفيين حيث يجوزون نيابة غير المفعول به مع وجوده^{٦٢٥}.

^{٦٢٢} - إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٠٢.

^{٦٢٣} - إعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٤٤.

^{٦٢٤} - معاني القرآن للفراء ٣ / ٤٦.

^{٦٢٥} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٣٥٥، الكشف والبيان ٨ / ٣٦٠، التحرير والتنوير ٢٥ / ٣٤٢، المحرر الوجيز ٥ / ٧٣.

والمتمأمل في هذه التوجيهات يجد أنّ التوجيه الأول توجيه صحيح عند علماء النحو، ولا يعلم مخالف لهذا الفهم، يقول السمين الحلبي: " في القائم مقامَ الفاعل ثلاثة أوجه، أحدها: ضميرُ المفعول الثاني عادَ الضميرُ عليه لدلالةِ السِّيَاقِ تقديرُهُ: لِيُجْزَى هو أي: الخيرُ قوماً، والمفعول الثاني من بابِ أعطى يقومُ مقامَ الفاعل بلا خلافٍ " ٦٢٦.

أمّا التوجيه الثاني ففيه ضعف، ولا يجوزُه الجمهور؛ لأنّه لا يترك المفعول به، ويقام المصدر، لا سيّما مع عدم التصريح به ٦٢٧.

أمّا التوجيه الثالث فيرده الجمهور من البصريين، ويجوزُه الأَخفش والكوفيون ٦٢٨ وغيرهم كأبي حيان ويقول: ونظيره: ضرب بسوط زيدا ٦٢٩. وابن مالك في ألفيته حيث قال:

وقابلٌ مِنْ ظَرْفٍ أَوْ مِنْ مَصْدَرٍ أَوْ حَرْفٍ جَرٍّ بِنِيَابَةٍ حَرِيٍّ

ولا ينوبُ بعضُ هذي إن وجد في اللفظ مفعول به وقد يرد ٦٣٠.

ففي قوله " وقد يرد " إشارة إلى جواز ذلك.

واستشهد الكوفيون بقول جرير ٦٣١:

ولو وُلدتُ فُفَيْرَةً جَرَوِ كَلْبٍ لَسُبُّ بِذَلِكَ الجَرَوِ الكَلابا.

فأناب الجار والمجرور " بذلك " مع وجود المفعول وهو الكلابا.

وبقول رؤبة ٦٣٢:

٦٢٦ - الدر المصون ٩ / ٦٤٥ - ٦٤٦.

٦٢٧ - انظر: السابق ٩ / ٦٤٥ - ٦٤٦.

٦٢٨ - انظر: همع الهوامع ١ / ٥٨٥.

٦٢٩ - انظر: تفسير البحر المحيط ٨ / ٤٥.

٦٣٠ - انظر: شرح ابن عقيل ٢ / ١٢١.

٦٣١ - البيت منسوب لجرير انظر: خزنة الأدب ١ / ٣٢٩، اللباب في علل البناء والإعراب ١ / ١٦٠، الانتخاب لكشف الأبيات المشككة الإعراب ١ / ٦، ولم ينسبه ابن جني لأحد انظر: الخصائص ١ / ٣٩٧، ولم أجده في ديوان جرير.

لم يُعْنَ بِالْعَلِيَاءِ إِلَّا سَيِّدًا ولا شفى ذا الغيِّ إلا ذو هدى.

والشاهد في البيتين أنه أناب الجار والمجرور { بالعلياء } مع وجود المفعول به منصوبا { سيِّداً } في الكلام ٦٣٣.

وجاءت الآية حجة داعمة لما ذهب له الكوفيون، ولا يجوز لأحد أن يضعف هذه القراءة أياً كان، إن علم أنها من القراءات المتواترة المنطق عليها.

وتفرد يعقوب بالبناء للمفعول عن غيره في ثلاثة مواضع:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ٦٣٤ فقرأ يعقوب يُقَدِّرَ بالياء

المضمومة من تحت ودال مفتوحة مبنيا للمفعول، والباقون بنون العظمة المفتوحة وكسر الدال على البناء للفاعل ٦٣٥.

الثاني: في قوله تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ

عَدَدًا ﴾ ٦٣٦ فرويس بضم الياء مبنيا للمفعول في يُعْلَمُ، والباقون بفتحها مبنيا للفاعل ٦٣٧. وتحتمل

معنيين الأول: ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا، والثاني: ليعلم الله أي: من شاء أن يعلمه، أن الرسل قد أبلغوا رسالاته، والتوجيه الثاني أعم من الأول وهو المناسب للعموم الآية.

٦٣٢ — ديوان رؤبة ١٧٣، موجود في أبيات مفردة.

٦٣٣ — انظر: أوضح المسالك ١٣٤/ ٢.

٦٣٤ — الأنبياء ٨٧.

٦٣٥ — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٩٤.

٦٣٦ — الجن ٢٨.

٦٣٧ — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٦٠.

وقرأ الباقون بفتح الياء، أي: ليعلم الرسول أن الملائكة أن قد أبلغوا رسالات ربهم، أو ليعلم الأنبياء أن الملائكة أن قد أبلغوا رسالات ربهم^{٦٣٨}.

الثالث: في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ

مِنْسَاتِهِ^{٦٣٩} فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾^{٦٣٩} فرويس

بضم التاء الأولى والموحدة وكسر الياء التحتية المشددة في تبينت على البناء للمفعول والنائب الجن، والباقون بفتح الثلاثة على البناء للفاعل مسندا إلى الجن، أي علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم، ويحتمل أن يكون من تبين بمعنى بان أي: ظهرت الجن^{٦٤٠}.

ومعنى الآية على قراءة الجمهور تحتمل عدة توجيهات أولها: أنه على حذف مضاف تقديره: تبين أمر الجن وظهرت حقيقتهم، أي: ظهر وبان فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه.

الثاني: أن تبين بمعنى بان وظهر أيضاً. والجن فاعل ولا حاجة إلى حذف مضاف، وأن لو كانوا بدل، والمعنى: ظهر الجن جهلهم للناس، لأنهم كانوا يؤهمون الناس بذلك، كقولك: بان زيد جهله.

الثالث: أن تبين هنا متعد بمعنى أدرك وعلم، وحينئذ يكون المراد بالجن ضعفتهم، وبالضمير في كانوا كبارهم ومردتهم، و " أن لو كانوا " مفعول به، وذلك أن المرادة والرؤساء من الجن كانوا يؤهمون ضعفاءهم أنهم يعلمون الغيب، فلما خر سليمان عليه السلام ميتاً، مكثوا بعده عاماً في العمل، تبينت السقطة من الجن أن الرؤساء منهم لو كانوا يعلمون الغيب كما ادعوا ما مكثوا في العذاب المهين، أي عذاب سليمان لهم^{٦٤١}.

^{٦٣٨} - انظر: الكشف والبيان ١٠ / ٥٧، تفسير البحر المحيط ٨ / ٣٤٩.

^{٦٣٩} - سبأ ١٥.

^{٦٤٠} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٥٩.

^{٦٤١} - انظر: الدر المصون ٩ / ١٦٧ - ١٦٨.

فقراءة الجمهور تحتمل عدة معانٍ بلاغية جميلة، وهذا دليل على إعجاز القرآن. أمّا قراءة يعقوب بالبناء للمفعول، أي تبين الناس الجن^{٦٤٢}. فيحمل على معنى واحد لا غير هو أنّ الناس عرفوا حقيقة الجن أنّهم لا يعلمون الغيب، و" أن " على هذه القراءة بدل، ويجوز أن تكون في موضع نصب بإسقاط حرف الجر أي: بأن على هذه القراءة^{٦٤٣}. ومعنى تبينت أنّ المتبين هو أن مع ما في حيزها؛ لأثّه بدل^{٦٤٤}

وحاد أبو حيان عن الصواب عندما قال: " قرأ ابن عباس، فيما ذكر ابن خالويه ويعقوب بخلاف عنه: تُبَيِّنَت مبنياً للمفعول، وعن ابن عباس، وابن مسعود، وأبيّ، وعلي بن الحسن، والضحاك، فقراءة هذا الموضع مخالفة لسواد المصحف، ولما روي عنهم، ذكرها المفسرون، أضرب عن ذكرها صفحاً على عادتنا في ترك نقل الشاذ الذي يخالف السواد مخالفة كثيرة " ^{٦٤٥}. فمن المعروف عن أبي حيان أنّه يعظم الرواية ولا يطعن بها، فالقراءة سنة متبعة، وقارئها من القراء العشرة الذين أجمعت الأمة على صحة قراءته وليست شاذة، ولها وجه في العربية.

^{٦٤٢} — انظر: التحرير والتنوير ٢٢ / ١٦٤.

^{٦٤٣} — انظر: المحرر الوجيز ٤ / ٤٧٦.

^{٦٤٤} — انظر: تفسير أبي السعود ٧ / ١٢٦.

^{٦٤٥} — انظر: تفسير البحر المحيط ٧ / ٢٥٨.

المبحث الخامس: نون التوكيد الخفيفة

لنون التوكيد في العربية نوعان هما: الثقيلة والخفيفة، وكلتاها تؤدي إلى تقوية معنى الفعل، غير أنّ الثقيلة أشدّ توكيدا من الخفيفة، وانفرد قارئنا يعقوب بالتأكيد بنون التوكيد الخفيفة عن بقية القراء في خمسة مواضع في الفعل المضارع، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^{٦٤٦}، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾^{٦٤٧}، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخَفَّنَا الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^{٦٤٨}، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا نَذَبَنَّا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾^{٦٤٩}، بتخفيف النون مع سكونها في الخمسة، والباقيون بالتشديد في الكل^{٦٥٠}.

والمتأمل في كتب البلاغة يجد أنّ حذف الحرف أو اجتزاء الحركات الطويلة لا يكون هملا، وإنّما يكون لبعد بلاغي، وكتب البلاغة التي عنيت بالقرآن، تنبض بالوجه البلاغية التي تبين سبب حذف الحرف وزيادته في كل موضع، وبعد النظر فيها وجدت أنّ من أسباب الحذف وتخفيف الكلمة هو التخفيف عن النفس وهذا ما ذكره الدكتور فاضل السامرائي في قوله تعالى:

^{٦٤٦} - آل عمران ١٩٦.

^{٦٤٧} - النمل ١٨.

^{٦٤٨} - بالروم ٦٠.

^{٦٤٩} - الزخرف ٤١.

^{٦٥٠} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٣٤، النشر في القراءات العشر ٢ / ٢٤٦، المبسوط في القراءات العشر ١ / ١٧٣.

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾^{٦٥١}

فالسبب في تخفيف النون من كان، هو أن الآية نزلت في تمثيل المشركين في المسلمين يوم أحد، فكان الأمر ثقيلًا على النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت الآيات تطيبها وتخفيفًا لهذا الحدث، فلذلك خفف الفعل إشارة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس^{٦٥٢}. فتخفيف نون التوكيد من الثقيلة للخريفة لها أغراض بلاغية منها: تخفيف وقوع الفعل، والمتأمل في الآيات السابقة التي انفرد بها يعقوب يجد أن سبب التخفيف هو تخفيف وقوع الفعل، فالآية في سورتي آل عمران والروم تتحدثان عن غدر الكفار واستخفافهم بالنبي واستفزازهم له، فخفف الله على نبيه الغدر والاستخفاف والاستفزاز بتخفيفه للنون في الأفعال، فغدر الكفار واستخفافهم ومكرهم خفيف عليه؛ لأن الله معه، وآية النمل تخاطب النملة النمل مخففة عليهم ومطمئنة لهم، ومخففة عنهم أمر سليمان مع أن أمره عظيم، وآية الزخرف وهي: " فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ " أي إذا أخرجناك من مكة بسبب أذى قريش، " فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ، أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ " وهو الانتقام منهم في حياتك، ففي هذا تخفيف للأذية الواقعة على النبي بإخراجه من مكة إلى المدينة، وكذا الحال في قوله تعالى: " أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ " أي نريئك العذاب الواقع بهم في حال حياتك، فعذابهم خفيف وسهل علينا، فلذا خفف النون.

والناظر في هذا التخفيف يجد أن أهل الحجاز يميلون إلى اليسر والسهولة والتخفيف، وأهل البادية يميلون إلى الشدة والجهر والتفخيم في كلامهم، ويعقوب من البصرة، والبصرة من البادية ومع ذلك جاءت قراءته بالتخفيف، فينبغي أن يُعلم أن القراءة سنة متبعة، فقد توافق لهجة قوم القارئ وقد تخالفها.

^{٦٥١} — النحل ١٢٧.

^{٦٥٢} — انظر: التعبير القرآني ٧٧.

المبحث السادس: تبادل صيغ الأفعال

تتبادل صيغ الأفعال في الكلمات، ويكثر التبادل بين صيغتي أفعل وفعل، على أن أفعل وفعل يأتيان في الكلام بمعنى واحد، كقولك: أكرمت وكرمت^{٦٥٣}. وهذا التبادل ناشئ عن اختلاف اللهجات، فمن العرب من يميل إلى صيغة أفعل في كلمات دون أخرى، ومنهم من يميل إلى التضعيف في كلمات دون أخرى، ولا تنسب أي من الصيغتين لقوم معينين من العرب، وظهر هذا واضحا عند قرائنا أبي جعفر ويعقوب.

فوردت صيغة أفعل عند أبي جعفر مخالفا بذلك الجمهور في أربعة مواضع، وجاءت عند يعقوب في موضعين.

فقرأ أبو جعفر وحده: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَوَلَّوْا الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمَكُمُ الَّذِي

كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^{٦٥٤} يُحْزِنُهُمْ بضم الياء وكسر الزاي مضارع أحزن، والباقون من حزن ثلاثيا^{٦٥٥}.

والقراءتان من باب ما جاء فيه فعل وأفعل بنفس المعنى، وقيل: باختلاف معنى، فحزنته جعل فيه حزناً نحو: دهنه وكحله أي: جعل فيه دهنًا وكحلاً، وأحزنته إذا جعلته حزينا والحق أن حزنته وأحزنته لغتان فاشيتان لثبوتهما متواترتين، وإن كان أبو البقاء قال: إن أحزن لغة قليلة، ومن عجيب ما اتفق أن نافعا رحمه الله يقرأ هذه المادة من أحزن إلا التي في الأنبياء كما تقدم، وأن شيخه أبا جعفر يزيد بن القعقاع يقرأها من حزنته ثلاثيا إلا التي في الأنبياء، وهذا من الجمع بين اللغتين، والقراءة سنة متبعة^{٦٥٦}.

^{٦٥٣} - الحجة في القراءات السبع ١ / ٨٨، الحجة للقراء السبعة ٤ / ١٠٤.

^{٦٥٤} - الأنبياء ١٠٣.

^{٦٥٥} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٩٤، المبسوط في القراءات العشر ١ / ١٧١.

^{٦٥٦} - انظر: الدر المصون ٣ / ٤٩٥.

يقول أبو حيان: " لا يَحْزَنُهُمْ مضارع أْحَزَنَ وهي لغة تميم، وحزن لغة قریش " ٦٥٧. وفي استعمال الفعل منه لغتان، تقول: حَزَنَني يَحْزَنُني حُزْناً فأنا مَحْزُونٌ، ويقولون: أَحْزَنَني فأنا مُحْزَنٌ، وهو مُحْزَنٌ ٦٥٨ فلغة أْحَزَنَ لغة تميمية، والقارئ بها حجازي من المدينة، وهو مع هذا إنما يقرأ بلغة تميم، وهذا إذا دلّ إلّما يدلّ على أنّ القراءة سنة متبعة.

وقرأ أبو جعفر {نُذْهِبْ} في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ

يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نُذْهِبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٦٥٩ بضم التاء وكسر الهاء من أذهب، وافقه ابن محيصن والشنبوذي، والباقون بفتح التاء والهاء مبنيًا للفاعل من ذهب ونفسك فاعل ٦٦٠. فقراءة العامة على فتح التاء مسنداً " لِنَفْسِكَ ". وقراءة أبي جعفر وفتادة والأشهب بضم التاء وكسر مسنداً لضمير المخاطب ونَفْسَكَ مفعول به.

قرأ أبو جعفر { يُذْهِبْ } في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا

فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ

يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يُذْهِبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ ٦٦١ بضم الياء وكسر الهاء من أذهب، فقيل: الباء زائدة

٦٥٧ - تفسير البحر المحيط ٦ / ٣١٧.

٦٥٨ - لسان العرب / حزن.

٦٥٩ - فاطر ٨.

٦٦٠ - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٦٣.

٦٦١ - النور ٤٣.

مثل: تثبت بالدُّهن، وقيل: بمعنى من والمفعول محذوف تقديره يذهب النور من الأبصار، والباقون بفتح الباء والهاء ^{٦٦٢}.

وذهب الأخفش وأبو حاتم إلى تخطئة أبي جعفر في هذه القراءة؛ لأنَّ الباء [بالأبصار] تُعاقبُ الهزمة [أذهب]، ولا يجوز اجتماع أداتي تعديّة، ويردّ عليهم أبو حيان قائلاً: وليس بصواب؛ لأنّه لم يكن ليقراً إلا بما روي، وقد أخذ القراءة عن سادات التابعين الآخذين عن جلة الصحابة أبي وغيره، ولم ينفرد بها أبو جعفر وحده، بل قرأ شبيبة كذلك ^{٦٦٣}. وتخريج قراءة أبي جعفر على

زيادة الباء، فتكون الباءُ مزيدة، لتأكيد اللصوق أي: يُذهب الأبصارَ مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا

بُرُءُوسِكُمْ﴾ ^{٦٦٤}، أو على أن الباء بمعنى من، والمفعول محذوف تقديره يذهب النور من الأبصار، وقراءة الجمهور: "يذهب" بفتح التحتية وفتح الهاء تكون الباء {بالأبصار} للتعديّة، أي يُذهب الأبصار، وكلا التوجيهين صواب ^{٦٦٥}.

أما يعقوب فقرأ بصيغة أفعّل في موضعين الأول: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ

الْأَعْرَابِ﴾ ^{٦٦٦} المعذرون بضم الميم وسكون العين وكسر الذال مخففة من أعذر يعذر كأكرم يكرم، والباقون بفتح العين وتشديد الذال ^{٦٦٧}. وقراءة الجمهور من عدّر في الأمر، إذا قصر فيه

^{٦٦٢} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤١٢.

^{٦٦٣} — انظر: تفسير البحر المحيط ٦ / ٤٢٧.

^{٦٦٤} — المائدة ٦.

^{٦٦٥} — انظر: تفسير البحر المحيط ٦ / ٤٢٧، اللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٤٧١، الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ٢٩٠، التحرير والتنوير ١٨ / ٢٦٣.

^{٦٦٦} — التوبة ٩٠.

^{٦٦٧} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٠٥، تفسير البحر المحيط ٥ / ٨٦.

وتوانى ولم يجد: وحقيقته أنه يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له، وقراءة يعقوب بالتخفيف هو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه^{٦٦٨}.

الثاني: قرأ يعقوب وحده {ينجيكم} في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ

تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيِّنَ أَنْجَانًا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^{٦٦٩} بتخفيف الجيم من الفعل أنجى، وقرأ

الباقون بتشديدها من الفعل نجى، فكلاهما من نجى وأنجى، والتضعيف والهمزة كلاهما للتعدية^{٦٧٠}.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالتشديد في الأولى والتخفيف في الثانية، فجمعوا بين

التعدية بالألف والتعدية بالتضعيف كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤُودًا﴾^{٦٧١}.

أما صيغة فعل المضعفة العين الدالة على التكرير، فقرأ أبو جعفر في موطن واحد، ويعقوب في

موطنين لا ثالث لهما. فقرأ أبو جعفر {مفرطون} في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنْتَهُمْ

مُفْرَطُونَ﴾^{٦٧٢}، بكسرها مشددة من فرط قصر، والباقون بالفتح مع التخفيف اسم مفعول من

أفرطته خلفي أي: تركته ونسيته^{٦٧٣}.

^{٦٦٨} - انظر: الكشاف ٣ / ٨٠.

^{٦٦٩} - الأنعام ٦٣.

^{٦٧٠} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ١٩٥، المحرر الوجيز ٢ / ٣٥٦، اللباب في علوم الكتاب ٨ / ٢٠٠.

^{٦٧١} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٥٦، المحرر الوجيز ٢ / ٣٥٦.

^{٦٧٢} - النحل ٦٢.

^{٦٧٣} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٥٢.

يقول الفراء: وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ يقول: منسيون في النار. والعرب تقول: أفرطت

منهم ناساً أي خلفتهم ونسيتهم. وتقرأ "مُفْرَطُونَ" كقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا

فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾^{٦٧٤} يقول: فيما تركت وضيّعت. وتقرأ "وَأَنَّهُمْ

مُفْرَطُونَ" بكسر الراء، كانوا مُفْرَطِينَ في سوء العمل لأنفسهم في الذنوب^{٦٧٥}.

ومعنى قراءة الجمهور أنهم مخلوقون مُثْرَكُونَ في النار منسيون فيها، ومعناه أيضاً أنهم مبعدون في النَّار، وهذا قريب من الذي قبله^{٦٧٦}. أمّا قراءة أبي جعفر فهي من فرط المضاعف أي: قصر وضيّع^{٦٧٧}.

وانفرد يعقوب عن البقية في موضعين:

الأول: {تَرْهَبُونَ} في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ

تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾^{٦٧٨} فرويس عن يعقوب بتشديد الهاء من رهّب المضاعف، والباقون

بتخفيفها من أرهّب^{٦٧٩}. والفعل ترهّبون معدّى بالتضعيف^{٦٨٠}. والمفعول الثاني على كلتا

^{٦٧٤} - الزمر ٥٦.

^{٦٧٥} - انظر: معاني القرآن للفراء ٢ / ١٠٧ - ١٠٨.

^{٦٧٦} - انظر: المحرر الوجيز ٣ / ٤٠٥، اللباب في علوم الكتاب ٧ / ٣٩.

^{٦٧٧} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٢ / ٩٦.

^{٦٧٨} - الأنفال ٦٠.

^{٦٧٩} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٩٩، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٢٢٢.

^{٦٨٠} - انظر: المحرر الوجيز ٢ / ٦٢٥، تفسير البحر المحيط ٤ / ٥٠٨.

القراءتين محذوف، لأنَّ الفعل قبل النَّقْل بالهمزة أو بالتَّضْعِيف متعَدُّ لواحد، نحو: " رَهَّبْتُكَ " والتقدير: تُرْهَبُونَ عَدُوَّ اللَّهِ قِتَالِكُمْ، أو لقاءكم^{٦٨١}.

الثاني: { نورث } في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾^{٦٨٢} فرويس عن يعقوب بفتح الواو وتشديد الراء من ورث مضعفاً، وافقه الحسن والمطوعي، والباقون بسكون الواو وتخفيف الراء مضارع أورث^{٦٨٣}. والتورث استعارة أي: تبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث^{٦٨٤}. وتدل هذه الصيغة غالباً على التكثر.

^{٦٨١} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٥٥٥.

^{٦٨٢} - مريم ٦٣.

^{٦٨٣} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٧٨.

^{٦٨٤} - انظر: تفسير البحر المحيط ٦ / ١٩١.

المبحث السابع: المصادر

يلحظ الدارس في اللغة العربية أنّ الفعل الواحد قد تتعدد مصادرّه، وورد هذا النوع من تعدد المصادر للفعل الواحد عند قرائنا.

فقرأ أبو جعفر {بشق} بفتح الشين في قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا

بَلَدِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^{٦٨٥} ، والباقون بكسرها مصدران بمعنى

واحد المشقة، وقيل: الأول مصدر والثاني اسم^{٦٨٦}. وهما لغتان للمصدر الواحد، ولا توجد نسبة لأيّ من المصدرين لقبيلة بعينها.

يقول ابن جني: " الشَّقُّ بفتح الشين هي بمعنى الشَّقِّ بكسرها، وكلاهما المشقة " ^{٦٨٧}. وقال أبو حيان: " هما مصدران معناهما المشقة. وقيل: الشق بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، ويعني به: المشقة " ^{٦٨٨}. وقال أبو إسحاق الثعلبي: " هما لغتان مثل بَرَقَ وبرق، وحَصَنَ وحصن، ورَطَلَ ورطل " ^{٦٨٩}. وقراءة الجمهور لها معنيان: أحدهما: الجهد والمشقة. والثاني: النصف، يعني لم تكونوا بالغيه إلا بشق النفس من القوة وذهاب شق منها حتى لم تبلغوه إلا بنصف قوى أنفسكم وذهاب نصفها الآخر، والعرب تقول: خذ هذا الشَّقَّ لشقة الشاة، ويقال: المال بيني وبينك شَقَّ

^{٦٨٥} - النحل / ٧.

^{٦٨٦} - انظر: إتحاف فضلاء البشر / ١ / ٣٤٩.

^{٦٨٧} - المحتسب / ٢ / ٧.

^{٦٨٨} - تفسير: البحر المحيط / ٥ / ٤٦٢.

^{٦٨٩} - الكشف والبيان / ٦ / ٧.

الشعرة وشيق الشعرة، وهما متقاربان ^{٦٩٠}. ويتبين لنا مما سبق أنّ تغير المصدر سببه تغير الحركة.

وقرأ يعقوب {تقاة} في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ

الْمَصِيرُ﴾ ^{٦٩١} تقية بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء مفتوحة على وزن مطية، وكذا رسمت

في كل المصاحف وافقه الحسن، والباقون تقاة كرامة وكلاهما مصدر يقال: اتقى يتقي اتقاء وتقوى وتقاء وتقية ^{٦٩٢}.

وفي التهذيب "إلا أن تتقوا منهم تقاة، وقرأ حميد: تقية، وهو وجه إلا أن الأولى أشهر في العربية" ^{٦٩٣}. ويقول صاحب اللسان في قوله تعالى: "إلا أن تتقوا منهم تقاة" يجوز أن يكون مصدراً وأن يكون جمعاً، والمصدر أجود، لأنّ في القراءة الأخرى إلا أن تتقوا منهم تقية" ^{٦٩٤}.

وتقية على وزن مطية وجنية، وهو مصدر على وزن فعيلة، وهو قليل نحو: النميمة، وكونه من افتعل نادر ^{٦٩٥}.

^{٦٩٠} – انظر: معاني القرآن ٢ / ٩٧، الكشف والبيان ٦ / ٧.

^{٦٩١} – آل عمران ٢٨.

^{٦٩٢} – انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٢١.

^{٦٩٣} – تهذيب اللغة / وقى.

^{٦٩٤} – انظر: لسان العرب / وقى.

^{٦٩٥} – انظر: تفسير البحر المحيط ٢ / ٤٤٣.

وقرأ يعقوب عَدُوًّا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا

بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^{٦٩٦} بضم العين والذال وتشديد الواو في عُدُوًّا وافقه الحسن، والباقون بالفتح والسكون

يقال: عدا عَدُوًّا وعَدَاءً وعُدُوًّا^{٦٩٧}.

يقول الأزهري: "ومن قرأ فبیسوا الله عُدُوًّا، فهو في معنى عَدُوًّا أيضاً. يقال في الظلم: قد عدا فلان عَدُوًّا وعُدُوًّا وعُدُوًّا وعَدَاءً أي: ظلم ظلماً جاوز من القدر"^{٦٩٨}. ويتبين لنا ممَّا سبق أنَّ تغيير المصدر سببه التضعيف.

أمَّا حذف الحركة الطويلة فيعلم الناظر في اللغة العربية أنَّ حذفها لهجة من لهجات العرب، وهي من أسباب تغيير شكل المصدر في اللغة، وهذا التغيير هو لغة من لغات العرب، وبه قرأ يعقوب فصاله في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا

وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^{٦٩٩}. بفتح الفاء وسكون الصاد وحذف دون ألف [فصله]، كقراءة

الحسن وأبي رجا وعاصم الجحدري وغيرهم^{٧٠٠}.

^{٦٩٦} - الأعمام ١٠٨.

^{٦٩٧} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٧١.

^{٦٩٨} - تهذيب اللغة / عدا، لسان العرب / عدا، معاني القرآن - النحاس ٢ / ٤٧١ - ٤٧٢، اللباب في علوم الكتاب ٨ / ٣٦٥، الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٦١.

^{٦٩٩} - الأحقاف ١٥.

^{٧٠٠} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١ / ٤٠٥.

والفصل والفصال مصدران، كالفطم والفطام^{٧٠١}. وفصله أي: فصله عن الرضاعة بقريضة
المقام^{٧٠٢}. وفصل المولود عن الرضاع يَفْصِلُهُ فَصْلاً وَفِصَالاً وَاقْتَصَلَ فَطْمَهُ^{٧٠٣}. ومن بديع معنى
الآية أن أقل مدة الحمل ستة أشهر؛ لأنه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهراً، قال

تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾^{٧٠٤} فإذا أسقطنا

الحولين الكاملين وهي أربعة وعشرون شهراً من ثلاثين بقي مدة الحمل ستة أشهر^{٧٠٥}.
ويتبين لنا مما سبق أنّ تغيير المصدر سببه حذف الحركة الطويلة، ففوق المصدر بعدة أشكال
للفعل الواحد قد يأتي في العربية، كما رصد عند قرائنا .

^{٧٠١} – انظر: تفسير البحر المحيط ٨ / ٦١.

^{٧٠٢} – انظر: التحرير والتنوير ٢٦ / ٣٠.

^{٧٠٣} – انظر: لسان العرب / فصل.

^{٧٠٤} – البقرة ٢٣٣.

^{٧٠٥} اللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٣٩٤.

المبحث الثامن: المشتقات

تميل طائفة من الصرفيين إلى أنّ اللغة العربية تشتق من الأفعال أسماءً تدل على الفاعل، أو المفعول، أو المبالغة، أو الصفة المشبهة، أو الزمان والمكان، والذي يعنينا من المشتقات في هذا الفصل هو اسم الفاعل والمفعول؛ لأنّ قراءنا قد انفردوا في بعض المواطن باسم الفاعل واسم المفعول عن بقية القراء، فانفرد أبو جعفر في اسم الفاعل في موطنين، وانفرد يعقوب في موطن واحد. فقرأ أبو جعفر وحده: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

طَيْرًا يَأْذَنُ اللَّهُ﴾^{٧٠٦} بالألف بعدها همزة كهيئة الطائر^{٧٠٧}، والمراد به الجنس^{٧٠٨}. وقرأ أيضا

{مُفْرَطُونَ} في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ إِنَّ لَهُمُ

الْحُسْنَ لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾^{٧٠٩} بكسر الراء مشددة من فرط قصر، والباقون

بالفتح مع التخفيف اسم مفعول من أفرطته خلفي أي تركته ونسيته^{٧١٠}. ومعنى قراءة الجمهور: أنهم مخلوقون متركون في النار منسيون فيها، ومعناه أيضا أنهم مبعدون في النار، وهذا قريب من الذي قبله^{٧١١}. أمّا قراءة أبي جعفر فهي من فرط المضاعف أي: قصر^{٧١٢}.

^{٧٠٦} - آل عمران ٤٩، والمائدة ١١٠.

^{٧٠٧} - انظر: المبسوط في القراءات العشر ١/ ١٦٤، إتحاف فضلاء البشر ١/ ٢٢٤.

^{٧٠٨} - انظر: تفسير البحر المحيط ٢/ ٤٨٧.

^{٧٠٩} - النحل ٦٢.

^{٧١٠} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٥٢.

^{٧١١} - انظر: المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٥، اللباب في علوم الكتاب ٧/ ٣٩.

^{٧١٢} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٢/ ٩٦.

وقرأ رويس عن يعقوب ﴿ وَمِنْ شَكْرِ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾^{٧١٣} النافثات بألف بعد النون وكسر الفاء مخففة بلا ألف بعدها جمع نافثة وهي الساحرة، وقرأها أيضا عاصم عن الجحدري، والباقون بفتح النون جمع نقاثة، وهي مبالغة من نفث^{٧١٤}. قال أبو عبيدة: النافثات هي: بنات لبيد بن أعصم اليهودي، سحرن النبي - صلى الله عليه وسلم -^{٧١٥}. والنافثات: النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر، يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها ويرقين^{٧١٦}

أما بخصوص المشتق الآخر وهو اسم المفعول، فلم ينفرد أحد من قرائنا الثلاثة باسم المفعول إلا أبو جعفر في موضع واحد. فقرأ مؤمناً في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتُّغُونَ عَرْضَ الْحَيَاةِ
الَّذِيكَ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا^{٧١٧}

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾^{٧١٧}، بخلف عنه من روايته بفتح الميم الثانية اسم مفعول [مومناً] أي: لا تؤمنك في نفسك، وإبدال الهمزة، والباقون بكسرها اسم فاعل أي إنما فعلت ذلك متعوذاً^{٧١٨}.

^{٧١٣} - الفلق ٤.

^{٧١٤} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٦٠٨، تفسير البحر المحيط ٨ / ٥٣٣. اللباب في علوم الكتاب ٢٠، ٥٧٣.

^{٧١٥} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ٢٠ / ٥٧٣.

^{٧١٦} - انظر: تفسير البحر المحيط ٨ / ٥٣٣.

^{٧١٧} - النساء ٩٤.

^{٧١٨} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٤٥.

وسبب نزول الآية أن رجلا معه غنم له أسلم خفية، رأى جند المسلمين فقال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، السلام عليكم، فتغشاه أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - الخبر، فقال لأسامة: كيف تصنع بلا إله إلا الله^{٧١٩}.

والمعنى: لا تقولوا لمن حيّاكم بهذه التّحيّة إبه إنّما قالها تَعَوُّدًا، فَتُقَدِّمُوا عليه بالسيف لتأخذوا ماله، ولكن كقوا عنه، واقبلوا منه ما أظهره فكذلك كنتم من قبل تُحْفون إسلامكم، فَمَنْ اللهُ عليكم^{٧٢٠}. ومعنى قراءة الجمهور ليس لإيمانك حقيقة إنّما أسلمت خوفاً من القتل، وقراءة فتح الميم تكون بمعنى لا نؤمنك في نفسك^{٧٢١}. أي لا نعطيك أماناً في نفسك، لأنك قلت ذلك خوفاً من السيف.

^{٧١٩} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ٦ / ٥٧٧.

^{٧٢٠} - انظر: اللباب في علوم الكتاب ٦ / ٥٧٧.

^{٧٢١} - انظر: تفسير البحر المحيط ٣ / ٣٤٢.

المبحث التاسع: التذكير والتأنيث

يفرق النحاة بين المؤنث المجازي والمؤنث الحقيقي، فالمؤنث الحقيقي: هو ماله فرج، والمؤنث المجازي: هو ما لا فرج له، فإذا أسند الفعل إلى اسم ظاهر مجازي التأنيث جاز الوجهان: التأنيث، وترك التأنيث، فنقول: طلعت الشمس بتأنيث الفعل، وطلع الشمس بترك التأنيث^{٧٢٢}.
وبالتأنيث قرأ أبو جعفر في موضع واحد فقط، وكذا يعقوب في موضع آخر.

فقرأ أبو جعفر قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا ^{٧٢٣} ۖ تَكُونُ بِالنَّاءِ عَلَى التَّأْنِيثِ، وقرأ

الباقون بالياء على التذكير؛ لأنّ تأنيث نجوى غير حقيقي^{٧٢٤}. وقرأتها بالناء؛ لتأنيث النجوى^{٧٢٥}. وهي مؤنث مجازي.

وقرأ يعقوب {نتال} في قوله تعالى: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُوى مِنْكُمْ ^{٧٢٦} ۖ

كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ^{٧٢٦} ۖ، بالناء من فوق على

^{٧٢٢} — فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية / ٣١٣.

^{٧٢٣} — المجادلة .٧.

^{٧٢٤} — النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٨٥.

^{٧٢٥} — تفسير البحر المحيط ٨ / ٢٣٣، للباب في علوم الكتاب ١٥ / ٥٣٣.

^{٧٢٦} — الحج ٣٧.

التأنيث فيهما اعتباراً باللفظ، ورويت عن الزهري والأعرج وغيرهما، والباقون بالياء من تحت
فيهما على التذكير؛ لأنّ التأنيث مجازي^{٧٢٧}.

وهناك سبب آخر لعدم تأنيث الفعل وهو الفصل بين الفعل والفاعل.

^{٧٢٧} — إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٩٩، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٣٠٧، معالم التنزيل ٥ / ٣٨٨، اللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٩٧.

المبحث العاشر: الجموع

ينقسم الجمع في العربية إلى جمع التصحيح، وجمع التكسير، وحديثنا في هذا المبحث عن جمع التكسير، والسبب في ذلك أنّ قراءنا أبا جعفر ويعقوب قد انفرد كل واحد منهم ببعض المواطن عن بقية العشرة، وقد جاء مبحثنا في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: جمع القلة.

المطلب الثاني: جمع الكثرة.

المطلب الثالث: جمع الجمع.

المطلب الأول: جمع القلة

قرأ يعقوب " إخوانكم " بجمع القلة على وزن فِعْلَةٌ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^{٧٢٨} ، بكسر همزة أخويكم وسكون الخاء، وتاء مثناة

من فوق مكسورة ، والباقون بفتح الهمزة والحاء وياء ساكنة بعد الواو تنثية أخ، وخصّ الاثنين بالذكر؛ لأنهما أقلّ من يقع بينهما الشقاق^{٧٢٩}.

ويقول الفراء: " لم يقل: بين إخوانكم، ولا إخوانكم، ولو قيل ذلك كان صواباً^{٧٣٠}.

أما أثر ذلك على المعنى فقراءة الجمهور بين أخويكم بلفظ تنثية الأخ، أي بين الطائفة والأخرى مراعاة لجريان الحديث على اقتتال طائفتين. فقراءة الجمهور بين أخويكم بلفظ تنثية الأخ على تشبيه كل طائفة بأخ. أما قراءة يعقوب فأصلحوا بين إخوانكم بتاء فوقية بعد الواو على أنه جمع أخ، باعتبار كل فرد من الطائفتين كالأخ^{٧٣١}.

^{٧٢٨} - الحجرات ١٠.

^{٧٢٩} - انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥١٢.

^{٧٣٠} - انظر: معاني القرآن للفراء ٣ / ٧١.

^{٧٣١} - انظر: تفسير البحر المحيط ٨ / ١١١.

المطلب الثاني: جمع الكثرة

لجموع الكثرة أوزان كثيرة ليس ثمة سبب ومنتسج للحديث عنها، إلّا أنّ قارئنا أبا جعفر قد انفرد عن البقية في جمع كلمة الريح في جميع المواضع في القرآن الكريم. فقرأ أبو جعفر بجمع الريح في جميع مواضع القرآن^{٧٣٢}، غير أنّه انفرد في خمسة مواضع^{٧٣٣}، أولها في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ

فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يُخَذُّوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ۗ﴾^{٧٣٤}.

وقرأ أبو جعفر بالجمع في خمسة عشر موضعا؛ لاختلاف أنواعها جنوبا وشمالا وقبولا ودبوراً وصبا^{٧٣٥}. يقول أبو حيان في سورة ص: "قرأ أبو جعفر الرياح بالجمع، وهو أعمّ لعظم ملك سليمان، وإن كان المفرد بمعنى الجمع لكونه اسم جنس"^{٧٣٦}. وسياق الآيات في الأنبياء وسبأ كسياق سورة صاد.

^{٧٣٢} — الشععة ٣٧٣.

^{٧٣٣} — الإسراء "فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ" ٦٩، الأنبياء "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً" ٨١، سبأ "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ" ١٢، ص "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ" ٣٦، الحج "أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ" ٣١ بخلف عنه.

^{٧٣٤} — الإسراء ٦٩.

^{٧٣٥} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٩٦.

^{٧٣٦} — تفسير البحر المحيط ٧ / ٣٨٢.

المطلب الثالث: جمع الجمع

يجمع الجمع فيقال في كل أَفْعُلٌ وَأَفْعَلَةٌ: أفاعِلٌ، وفي كل أفعال: أفاعيل^{٧٣٧}، ويرى سيبويه أن جمع الجمع مقيس في جموع القلة دون الكثرة، حيث قال: هذا باب جمع الجمع، أمّا أبنية أدنى العدد فتكسر منها أفعلةً وأفعلٌ على أفاعل، لأنّ أفعالاً بزنة أفعل، وأفعلةً بزنة أفعلة، كما أنّ أفعالاً بزنة إفعال، وذلك نحو: أيدي وأيدي وأوطبٍ وأواطب، وأسقية وأساق^{٧٣٨}، وأمّا ما كان أفعالاً فإنه يكسر على أفاعيل؛ لأنّ أفعالاً بمنزلة إفعال، وذلك نحو أنعام وأنعيم وأقوال وأقويل، ثم يتابع كلامه قائلاً: اعلم أنّه ليس كل جمع يجمع، كما أنّه ليس كل مصدر يجمع^{٧٣٩}. فمذهب الأكثرين أنّ جمع الجمع منقاس في جمع القلة، واختار ابن عصفور عدم جمعه في قلة أو كثرة^{٧٤٠}.

وبجمع الجمع قرأ أبو جعفر قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي

الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^{٧٤١} "أسارى" بالألف وضم

الهمزة وفتح السين على وزن فُعالي^{٧٤٢}.

وقال أبو عمرو بن العلاء: الأسرى: من في اليد، والأسارى: من في الوثاق^{٧٤٣}.

^{٧٣٧} — انظر: المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٢٤٤.

^{٧٣٨} — انظر: اللسان / وطب، وهو سقاء اللبن من جلد الجذع.

^{٧٣٩} — انظر: الكتاب ٣ / ٦١٨ — ٦١٩.

^{٧٤٠} — انظر: همع الهوامع ٣ / ٣٧٣.

^{٧٤١} — الأنفال ٦٧.

^{٧٤٢} — انظر: إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٠٠، المبسوط في القراءات العشر ١ / ٢٢٣.

^{٧٤٣} — انظر: تفسير البحر المحیط ١ / ٤٤٩.

ويقول سيبويه: " وقالوا: أسارى شبهوه بقولهم كَسَالِي، وقالوا: كَسَلِي، فشبهوه بأسرى " ^{٧٤٤}.
يقول الفراء: " وقد قرئت أسارى، وكلّ صواب " ^{٧٤٥}. ويقول الزجاج: " يجوز " أسارى " ولا أعلم
أحدا قرأ بها، وأصل الجمع فعالي " ^{٧٤٦}. وهذا حد علم الزجاج، فقرأ بها أبو جعفر والمفضل عن
عاصم ^{٧٤٧}. يقول ابن فارس: " وأسارى في جمع أسير، ليس على بابيه، وبابه أسرى " ^{٧٤٨}. ويقول
ابن منظور: من قرأ أسارى وأسارى فهو جمع الجمع، يقال: أسير وأسرى ثم أسارى جمع
الجمع ^{٧٤٩}.

وفي توجيه هذه الآية: أربعة أوجه:

أحدها: أنه جُمِعَ جَمَعَ كَسَلَانَ لِمَا جَمَعَهُمَا مِنْ عَدَمِ النِّشَاطِ وَالتَّصَرُّفِ، فقالوا: أسير وأسارى،
ككسَلَانَ وكَسَالِي، وسُكْرَانَ وسُكَارِي.
الثاني: أن أسارى جمعُ أسير، وقد وَجَدْنَا فَعِيلًا يُجْمَعُ عَلَى فُعَالِي قالوا: شيخٌ قديمٌ وشيوخٌ قدامى،
وفيه نظرٌ فإن هذا شاذٌّ لا يُقَاسُ عليه.
الثالث: أنه جَمَعُ أسير أيضاً، وإنما ضَمُّوا الهمزة من أسارى وكان أصلها الفتح كنديم ونَدَامِي، كما
ضُمَّتِ الكافُ والسينُ من كَسَالِي وسُكَارِي، وكان الأصلُ فيهما الفتح نحو: عَطَشَانٌ وَعَطَاشِي.
الرابع: أنه جَمَعُ أسرى الذي هو جمعُ أسير فيكونُ جَمَعُ الجمعِ ^{٧٥٠}.

^{٧٤٤} - الكتاب ٣ / ٦٥٠.

^{٧٤٥} - معاني القرآن للفراء ١ / ٤١٨.

^{٧٤٦} - معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٦٦.

^{٧٤٧} - انظر: تفسير البحر المحيط ٤ / ٥١٤.

^{٧٤٨} - الحجة للقراء السبعة ٤ / ١٦٥.

^{٧٤٩} - انظر: اللسان / أسر.

^{٧٥٠} - انظر: الدر المصون ١ / ٤٨٠ - ٤٨١.

والمتمأمل في هذه التوجيهات يلمس جمال التوجيه الأول وهو إلحاقه بكسّان وكسّالي، وسكران وسكاري؛ بسبب عدم النشاط والتصرف.

والتوجيه الثاني قليل وقوعه، وادعاء الشذوذ فيه ليس بصواب ما دام موجودا في العربية، وقد يقاس عليه مع قلته وندرته، وهذه طريقة الكوفيين في القياس على القليل.

أمّا الثالث، فإنّ ادعاء أنّ أصلها الفتح وضمت كنديم ونّدامي، ثم ضُمت كما ضمت الكافُ والسينُ من كسّالي وسكاري، فهذا قول لا دليل عليه وهو متكلف، ولا يخفى تكلفه على الناظر فيه.

أمّا الرابع، فهو الراجح؛ لكثرة الأمثلة التي جاءت على وزن فعلى فعالي، فلذا يلحق بها.

الخاتمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، حمدا يكافئ نعمه، ويزيل نقمه، ويستتزل رضاه، فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد إذا رضي، وله الحمد بعد الرضا، والصلاة والسلام على النور المبين، الهادي لصراط الله القويم.

وبعد. فإن من أسباب اكتمال هذا العمل — الذي أسأل الله أن يجعله في ميزاني، وفي ميزان من كان عوناً لي، يوم لا ينفع مال ولا بنون — ذكر أهمّ النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، وهي:

١ — بيان أن القراءة لا تأتي بلغة قوم القارئ، وإنما هي سنة متبعة، فقد توافقت تارة، وتخالفت تارة.

٢ — لم يتفق أبو جعفر ويعقوب منفردين عن بنية القراءة سوى في موضعين أولهما: كسر الهمزة في إن في قوله تعالى: { أَنْ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ }^{٧٥١} على تقدير إن جواب لو لقلت: إن القوة لله جميعاً. والثاني: { إِنْ يُرْذَنَ الرَّحْمَنُ }^{٧٥٢} فقرأ أبو جعفر بإثبات الياء في يردن مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف، كوقف يعقوب عليها.

٣ — بيان حقيقة الهمزة المسهلة، والتي ينبغي أن تسجل بالآلات الصوتية الحديثة من أفواه القراء الكبار؛ ليقف طلاب العلم على حقيقتها، وما إبدال الهمزة إلا إسقاط لها والتعويض بحركة قصيرة مجانسة لما قبلها فتحولت بذلك من حركة قصيرة إلى طويلة، أما نقل الهمزة، فهو حذفها، ومن ثم أعيد ترتيب المقاطع الصوتية.

٤ — وُجِدَتْ انفرادات لأبي جعفر ويعقوب، جاءت ظاهرة عامّة في جميع المواطن في القرآن الكريم، منها: تسهيل الهمزة { من حذف وإبدال } عند أبي جعفر، ومنها: كلمة الرياح في قراءة أبي جعفر بالجمع في جميع المواطن ورودها في القرآن، وكذا الحال عند يعقوب فقد قرأ تَرَجِعُونَ

^{٧٥١} — البقرة ١٦٥.

^{٧٥٢} — يس ٢٣.

وبابه بالفعل اللازم ففتح حرف المضارعة وكسر الجيم من رجوع الآخرة، وأثبت جميع رؤوس الآي، وهي ست وثمانون ياء.

٥ – عدم تعليق المفسرين على الظواهر الصوتية البحتة، مثل: الإشمام، والسكت على الحروف المقطعة في بداية السور، وإخفاء النون عند الغين والخاء؛ ذلك لاهتمامهم بالقضايا النحوية والصرفية والصوتية المتعلقة بهما.

٦ – التعرف على حقيقة صوتي الغين والخاء بأنهما قريبان من حروف الإخفاء، ولذا أخفيا عند أبي جعفر، وقربهما من حروف الإظهار، فلذا أظهرهما عند الجمهور.

٧ – بيان السبب في لحوق هاء السكت في كلمات قرآنية عند جمهور القراء.

فهرست المصادر والمراجع:

- ١ - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ، (١٩٩٩ م) المحقق: شعيب الأرنؤوط، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة.
- ٢- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠ هـ (١٩٦٤) تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ، ط ١ ، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة .
- ٣- الأشموني، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٧٢ هـ ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، حققه الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث.
- ٤- الأعرشى، ميمون بن قيس بن جندل (١٩٢٧ م) الصبح المنير في شعر أبي بصير، مع شرح أبي العباس ثعلب ت ٢٩١ هـ ، مطبعة آدلف هلزهاستن.
- ٥- امرئ القيس، (٢٠٠٤ م)، ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، ط ٢ ، دار المعرفة - بيروت،
- ٦- الأنباري، عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد أبو البركات ت ٥٧٧ هـ (١٩٩٥ م) أسرار العربية، تحقيق: د.فخر صالح قدارة، ط ١ ، دار الجيل، بيروت .
. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر ، دمشق.
- ٧- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود ت ٥١٦ هـ (١٩٩٧ م) معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، ط ٤ ، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ٨- تاج الدين، أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي بن المبارك التاجر الواسطي المقرئ ويقال: نجم الدين ت ٧٤١ هـ، (٢٠٠٤ م) الكنز في القراءات العشر، المحقق: د. خالد المشهداني، ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة.
- ٩- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ت ٢٣١ هـ ، ديوان الحماسة.
- ١٠- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٢٩١ هـ ، مجالس ثعلب ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، ط ٥ ، دار المعارف.

- ١١- الثعلبي النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٤٢٧ هـ (٢٠٠٢ م) ،
الكشف والبيان، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، ط ١،
دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٢- الجرجاني، علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف ت ٨١٦ هـ ، التعريفات،
دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد .
- ١٣- الجرمي، إبراهيم محمد، (٢٠٠١ م)، معجم علوم القرآن، ط ١ ، دار القلم - دمشق.
- ١٤- جرير، ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طه، ط ٢ ،
دار المعارف.
- ١٥- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ت ٨٣٣ هـ (٢٠٠٠ م) ،
تحرير التيسير في القراءات العشر ، تحقيق: د.أحمد محمد مفلح القضاة، ط ١ ، دار الفرقان ،
الأردن.
- . غاية النهاية في طبقات القراء ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- . النشر في القراءات العشر، راجعه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٦- الجندي، أحمد علم الدين، (١٩٨٣ م) ، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب.
- ١٧- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، عالم
الكتب ، بيروت.
- . سر صناعة الإعراب، (١٩٨٥ م) تحقيق: د.حسن هنداوي، ط ١ ، دار القلم - دمشق.
- . للمع في العربية (١٩٧٢م)، تحقيق : فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت.
- . المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (١٩٦٦ م) ، تحقيق: علي النجدي
ناصر، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط ٢ .
- ١٨- ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت ٣٥٤ هـ ، (١٩٧٥ م) الثقات ،
تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ط ١ ، دار الفكر .

١٩- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي ت ٨٣هـ ، (١٩٨٧م)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، ط ١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت.

٢٠- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل الشافعي ت ٨٥٢ هـ ، (١٩٨٦م (لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت.

٢١- الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد ت ١٩٣٢ م ، (١٩٩٩م)، شذا العرف في فن الصرف، حققه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد علي، ط ١ ، مكتبة الصفا - القاهرة.

٢٢- أبو حيّان الأندلسي، لمحمد بن يوسف ت ٧٤٥ هـ ، (٢٠٠١ م) ، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق، د. زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، لبنان.

٢٣- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ت ٣٧٠ هـ ، (١٩٤١ م) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار الكتب المصرية - القاهرة.

. الحجة في القراءات السبع، (١٤٠١ هـ) ، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، ط ٤ ، دار الشروق ، بيروت. ٢٤

٢٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ ، العين ، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٥- الحمد، علي توفيق ويوسف جميل الزعبي، (١٩٩٣ م)، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ط ٢ ، دار الأمل ، إربد ، الأردن.

٢٦- الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني ت ١١١٧ هـ ، (١٩٩٨ م)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ويسمى منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات، تحقيق: أنس مهرة، ط ١، دار الكتب العلمية - لبنان.

٢٧- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله ت ٧٤٨ هـ ، (١٤٠٤ هـ) معرفة القراء الكبار على الطبقات، تحقيق: بشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤوط، وصالح مهدي عباس، ط ١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٨- رؤبة بن العجاج، مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى به وليم بن الورد، دار ابن قتيبة - الكويت.

٢٩- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ت ٣١١هـ، (١٩٨٨ م) معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ط ١، عالم الكتب، بيروت.

٣٠- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي أبو القاسم ٣٣٧ هـ، (١٩٨٥م)، اللامات، المحقق: مازن المبارك، ط ٢، دار الفكر، دمشق.

٣١- الزرقاني، محمد عبد العظيم ت ١٣٦٧هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط ٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٢- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ت ٧٩٤هـ، (١٩٥٧ م) البرهان في علوم القرآن، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية.

٣٣- الزمخشري، لأبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي ت ٥٣٨ هـ، (١٩٩٨)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط ١ - مطبعة العبيكان - الرياض.

. المفصل في صناعة الإعراب، (١٩٩٣ م)، المحقق: د. علي بو ملح، ط ١، مكتبة الهلال، بيروت.

٣٤- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ت ٤٨٦ هـ، (١٩٩٣م)، شرح المعلمات السبع، لجنة التحقيق في الدار العالمية للتحقيق.

٣٥- السامرائي، الدكتور فاضل صالح التعبير القرآني، (٢٠٠٦ م)، ط ٤، دار عمار - عمان.

٣٦- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ت ٢٤٤ هـ، (١٩٤٩م)، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ٤، دار المعارف، القاهرة.

٣٧- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف المعروف ت ٧٥٦هـ، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق محمد بن أحمد الخراط، دار القلم - دمشق.

- ٣٨- سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠ هـ ، (١٩٨٨م)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣ ، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ٣٩- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١ ، المكتبة التوفيقية - مصر.
- ٤٠- شاهين، الدكتور عبد الصبور، (١٩٨٧ م) أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، ط١ ، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ٤١- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي القاهرة.
- ٤٢- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي (١٩٨٠)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤٣- الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ت ١٣٩٣هـ، (١٤٢٦هـ) العَدْبُ النَّمِيرُ من مجالس الشنقيطيِّ في التفسير المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط٢ ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة المكرمة.
- ٤٤- الصبان، حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ت ١٢٠٦ هـ ، مع شرح الشواهد للعيني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الوقفية.
- ٤٥- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي ت ٨٨٠هـ، (١٩٩٨ م)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٤٦- ابن عاشور، محمد الطاهر ت ١٣٩٣ هـ ، (١٩٩٧ م)، التحرير والتوير، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس.
- ٤٧- عابنة، يحيى، (٢٠٠٠م) ، دراسات في فقه اللغة وفنولوجيا العربية، ط١ ، دار الشروق، عمان.
- ٤٨- عبد الحميد، محمد محيي الدين ت ١٩٧٣ هـ ، (٢٠٠٤ م) التحفة السنّية بشرح المقدمة الأجروميّة، المكتبة العصريّة ، بيروت.
- ٤٩- عبده الراجحي، (١٩٩٩م) التطبيق الصرفي ، ط١ ، مكتبة المعارف ، الرياض.

- ٥٠- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي ت ٢١٠ هـ ، مجاز القرآن، تحقيق: محمد أمين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٥١- ابن عجيبة الحسني ، لأحمد بن محمد بن المهدي الإدريسي الشاذلي الفاسي أبي العباس ت ١٢٢٤ هـ ، (٢٠٠٢ م)، البحر المديد، ط ٢ ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٥٢- عدلان، علي الموصلي النحوي، (١٩٨٥ م)، الانتخاب لكشف الأبيات المشككة الإعراب، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٥٣- ابن عدي، عبد الله بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، ت ٣٦٥ هـ، (١٩٨٨م)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر ، بيروت .
- ٥٤- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب ت ٥٤٢ هـ ، (١٩٩٣م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١ ، دار الكتب العلمية، لبنان.
- ٥٥- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري الهمذاني ت ٧٦٩ هـ ، (١٩٨٥م) شرح ابن عقيل تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق .
- ٥٦- العكبري، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله ت ٦١٦ هـ ، (١٩٩٥م) اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات وعبد الإله نيهان، ط ١ ، دار الفكر، دمشق.
- ٥٧- عمر، أحمد مختار وعبد العال سالم مكرم ، (١٩٨٨ م)، معجم القراءات القرآنية، ط ٢ ، مطبوعات جامعة الكويت .
- ٥٨- عمر، أحمد مختار، (١٩٩٧ م) ، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب ، القاهرة .
- ٥٩- عمر بن أبي ربيعة، (١٩٣٤ م) ديوان عمر بن أبي ربيعة، صححه بشير يموت، ط ١ ، المكتبة الأهلية - بيروت.
- ٦٠- العنزى، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع، (٢٠٠١ م) المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط ١ ، مركز البحوث الإسلامية ليدز ، بريطانيا.

- ٦١- ابن فارس، للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ، (٢٠٠٧ م) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ، علق عليه أحمد حسن بسج، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ٦٢- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي، ت ٦٠٦ هـ ، دار إحياء التراث العربي.
- ٦٣- الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ ، معاني القرآن، عالم الكتب.
- ٦٤- أبو القاسم الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده اليشكري المغربي ت ٤٦٥ هـ، (٢٠٠٧ م)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، المحقق: جمال ابن السيد بن رفاعي الشايب، ط ١ ، مؤسسة سما للتوزيع والنشر.
- ٦٥- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ت ٦٧١ هـ ، (٢٠٠٣ م)، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض.
- ٦٦- القلاوي الشنقيطي، محمد بن أب، (٢٠١٠ م)، فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية، المؤلف {مؤلف الشرح}: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، ط ١ ، مكتبة الأسد، مكة المكرمة.
- ٦٧- ماريو باي، (١٩٧٣م) أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس كلية التربية - ليبيا .
- ٦٨- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ ، (١٩٩٤ م) المقتضب ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط ٣ ، دار إحياء التراث - القاهرة.
- ٦٩- المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج ت ٧٤٢ هـ ، (١٩٨٠م) تهذيب الكمال تحقيق : د. بشار عواد معروف ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- ٧٠- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ت ٧١١ هـ ، (٢٠٠٢م) لسان العرب ، ط ١ ، دار صادر - بيروت.
- ٧١- ابن مهران النيسابوري، أحمد بن الحسين أبي بكر ت ٣٨١ هـ، (١٩٨١ م) المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية ، دمشق.
- ٧٢- الناشري، عثمان بن عمر ت ٨٤٨ هـ، الشمعة في انفراد الثلاثة عن السبعة، تحقيق إياد السامرائي ويعقوب السامرائي، دار صدام للمخطوطات.

- ٧٣- الثَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨ هـ ، (١٩٨٨م)، إعراب القرآن، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب - بيروت.
- ٧٤- نصر، عطية قابل، غاية المرید في علم التجويد ، القاهرة، الطبعة السابعة مزيدة ومنقحة.
- ٧٥- النيرباني، عبد البديع، (٢٠٠٦ م)، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ط ١ ، دار الغوثاني، دمشق.
- ٧٦- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ت ٧٦هـ ، (١٩٧٩م) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ط ٥ ، دار الجيل ، بيروت.
- . أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٢٠٠٦ م)، ومعه عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، المكتبة العصرية ، بيروت.
- . مغني اللبيب عن كتب الأعراب، (٢٠٠٥م)، تقيق مازن المبارك، ومحمد علي الحمد، ط ١ ، دار الفكر، بيروت.
- ٧٧- ابن هرمة القرشي، ديوان إبراهيم بن هرمة القرشي، تحقيق: محمد نقاع وحسين عطوان، مكتبة مروان العطية.
- ٧٨- الوراق ، أبو الحسن محمد بن عبد الله، (١٩٩٩ م)، علل النحو ، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، ط ١ ، مكتبة الرشد ، الرياض.
- ٧٩- أبو يعلى، أبو الحسين بن محمد بن محمد ت ٥٢٦هـ، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة ، بيروت.
- ٨٠- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي النحوي ت ٦٤٣ هـ، شرح المفصل راجعه مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية - مصر.

البحوث والرسائل الجامعية:

- ١- بدران، حمدي عبد الفتاح السيد ، (١٩٩٩ م)، النقد اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري، {رسالة ماجستير}، إشراف الدكتور محمد حسن حسن جبل، كلية اللغة العربية ، المنصورة
- ٢- عبيدات، محمود مبارك عبد الله ، (١٩٩٩ م)، توجيهات ابن خالويه الصوتية في القراءات القرآنية في كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن ، {رسالة ماجستير}، بإشراف الدكتور علي الحمد، جامعة اليرموك.
- ٣ - القادوسي، الدكتور عبد الرازق بن حمودة، (٢٠١٠ م)، أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً ، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة حلوان.
- ٤ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بحوث ودراسات في اللهجات العربية.
- ٥- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، (٢٠٠٢ م)، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر.